د. مشعل عبد العزيز الفلاحي



جزء عمَّ



أفكار، ومفاهيم، وتصوّرات، وأولويّات




علّمني
القرآن
جزء عمّ



الطبعة الأولى

١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤



أفكار، ومفاهيم، وتصورات، وأولويات

تـألـيـف
د. مشعل عبد العزيز الفلاحي



دمشـق


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد؛

فلا أعلم في الحياة كلّها كتاباً يبني أفكارك ومفاهيمك وتصوّراتك، ويؤهلك للحياة ككتاب الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

وليس هناك كتاب في الدنيا كلّها يضع لك خارطة الطريق كما هي، ويدلّك على الحياة، ويرسم لك معالمها كالقرآن الكريم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] ولو ألقيت بمشاعرك في قول ربّك ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾ لأدركت



ما يمكـــن أن يقال عن هذا المعنى الكبير! وأحســـب أنّ للأمم ـ أفــراداً وجماعــات ـ حاجة لا يســدّها إلّا هذا الوحي، وقد حاولت جاهداً في هذا المصنّف أن أرســم لك معالم الطريــق، وأهديك إلى تلك الــروح، وأريك بعض مشاهد ذلك النور الكبير من خلال جزء عمّ قاصداً لي ولك الحياة. والله المســؤول أن يتولّانا وإياك بتوفيقه ورحمته وهداه، إنّه على كلّ شيءٍ قديرٍ.

المؤلف
د. مشعل عبد العزيز الفلاحي
بلاد الحرمين، محافظة القنقذة، حلي



سورة النبأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ
مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ
أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ
لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ
سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا
﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا
﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ
ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ
سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ



مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا
بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ جَزَآءٗ
وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا
﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ
مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا
دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ
مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴿٣٧﴾ يَوۡمَ
يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا
مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ
ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ
أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا
قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾

علمتني سورة النبأ: أنّ خلل الرؤية أعظم أسباب الضياع، وإذا فقد الإنسان البوصلة لم يهتدِ بعدها إلى شيء! ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝﴾ عن أي شيءٍ يتساءلون؟! عن القرآن الذي أنزله الله تعالى إليهم، وقد رسم لهم فيه ملامح الطريق، وأبان لهم فيه كلّ شيء ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]! أم عن الرسول الذي بعثه الله تعالى إليهم ليبيّن لهم تلك الغايات الكبرى التي تنتظرهم في مستقبل الحياة؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠]! أم عن أي شيءٍ يتساءلون، وقد اتّضح لهم كلّ شيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨]! إنّ هذا السؤال الذي يدور في أوساط قريش ليس سؤالاً يبحث عن الحقائق، ويريد ذلك النور الذي يكشف به الظلام، ويبدّد به عتمة الحياة، كلّا! وإنّما سؤالٌ عبثيٌ يراد به إنكار كلّ شيء، والبقاء في أسر تلك الجاهليات التي تأبى إلّا أن تبقى في مساحات الظلام!

وعالم اليوم في كثير من أحداثه يشبه عالم الأمس في



ضياع الطريق من أوّله، وانعدام الرؤية من أصلها، ويكاد يصنع للناس كلّ شيء، وهو في الوقت ذاته ضال لم يجد شيئاً! وحسب القارئ لهذه الأسطر أن يدرك سرّ وجوده في الحياة، ويعرف ذلك المقصد العظيم الذي جاء له، وماذا ينتظر منه في النهايات حتى يسلم من الضياع؟ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وتعلّمت منها: أنّ ثمّة أفراداً وأمماً تؤجّر عقولها لآخرين وتسلمهم قيادها، ترضى أن تبقى أتباعاً لهم في كل شيء، وتتطوّر القضية إلى أكبر من ذلك، فيتحوّل تفكير هؤلاء إلى جزءٍ من منظومة أولئك، فيفكّرون بتفكيرهم، ويتحدثون بنمطهم، ويحللون الأحداث من خلال رؤاهم، ويصبحون ويمسون مجرّد أدوات لغيرهم، ويفرّطون في عقولهم وهي أعز ما يملكون! ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ وهذا التنازع الذي يجري في أوساطهم ليس بحثاً عن حقيقة البعث، ولا بوصلة الحياة، ولا إجابة للسؤال الكبير لِمَ خلقنا؟ ولماذا جئنا



إلى هــذه الأرض؟! كلّا! وإنما لأن آباءهــم وأجدادهم تنازعوا في القضية ذاتها فحســب! والعقول إذا ســلّمت قيادها لآخرين بقيت أسيرة لها، وترزح في قيودها وفقدت في النهاية كلّ شــيء. وأخطر ما على الإنســان أن يؤجّر عقله، ويصبح أداة لغيره، وكم مــن عاقل جرى في فلك هذه المعاني لاســيما في مثل زمانك، وأصبح جزءاً من فكرة، وعضواً في منظومــة، وفرداً في جماعة دون وعي، ومن فقه الإنســان وكمال وعيه أن يتربّــى على الوحي، ويتصرّف في ضوء مفاهيمه ولا يقدّم عليه كلام بشر كائناً من كان حتى يسلم من الانحراف في مستقبل الأيام.

وتعلّمت منها: أنّ كل الجوارح التي يمنّ الله تعالى بها على إنسان هي أقصر من أن تهدي صاحبها للحق مالم يصحبها توفيق، كم هي الجوارح التــي يملكها كلّ فرد من هؤلاء، وهم في كامل صحتهم وعافيتهم! ومع كلّ ذلك لم تهدهم إلى الطريق، ولــم تدلّهم على الحياة رغــم أن الله تعالى خاطبهم من خلال عقولهم وبيّن لهم ما يرون، وحاكمهم

إلى مشاهد ذلك الكون، وعرض لهم تلك المشاهد عرضاً مدهشاً، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝﴾ ومع كلّ ذلك لم تدلّهم جوارحهم على شيءٍ من أفراح هذا المعنى! وما تصنع جوارح لم يكتب الله تعالى لها توفيقاً وسداداً! وهي دعوة لكل من يقرأ هذا المعنى ألّا يتكل على جوارحه أو قدراته أو مهاراته وإمكاناته في شيء، وإذا لم يهدك الله تعالى، ولم يدلّك على الطريق، فلن تلقى شيئاً يسعدك ولو كنت تملك كلّ شيء. وما حاجة إنسانٍ إلى شيءٍ أكثر من حاجته إلى عون الله تعالى وتوفيقه وسداده.

وتعلّمت منها: أنّ نِعَم الله تعالى كثيرة ومتعددة، ولا سبيل إلى حصرها البتة، وهذه المشاهد التي تعرضها السورة ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝﴾ بعض مشاهد هذه النعم في حياة إنسان، ومن ألقى بمشاعره وفكره في تلك النعم وتأملها حق التأمل عرف الله تعالى، وقام له بحقه، وأجَلّ شرعه، وما أجمل قول الأول (لبيد بن ربيعة):

فيا عجباً كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة ... وتسكينة أبداً شاهد

وفي كلّ شيءٍ له آية ... تدلّ على أنّه واحد

فهذه الأرض الممهّدة المذلّلة، والتي تجري فيها مصالح الناس كما يشاؤون، وتلك الجبال التي كالأوتاد لها لا تميد بهم ولا تضطرب، وهذا الزوج الذي لا تكتمل أفراح الحياة إلّا به! والنوم القاطع لتعب الإنسان وتكاليف الحياة عليه، وستر اللّيل الذي يمدّه الله تعالى على عباده، وهذا النهار الآية التي يلقى فيها الإنسان كلّ شيءٍ، ويأتي على آماله من خلالها، وهذه



الأفلاك من سماءٍ وقمرٍ وشمسٍ، وكلّ ما في هذا الكون تدلّك علـــى الله تعالـــى، وتصنع في قلبك من مشـــاهد إجلاله وتعظيمه ما تلقى به الحياة. ومن كمال وعيك أن تتذكّر هذه النعم، وتتلمّســـها بمشاعرك وعقلك وقلبك، وتســـتعين بها على طاعة ربك، وتحـــذر غاية الحذر أن تخالف فيها منهجـــاً لربّك أو فكرة علـــى خلاف وحيه مهما كان الداعي إلى ذلك.



وتعلّمـت منهـا: أنّ من فقـــه الدعوة: التنـــوّع في الأدلة والأساليب حتى تأخذ حظّها من عقول السامعين، وليس من الفقه أن تتعامل الدعوة مع كلّ المدعوين بالأسلوب ذاته. فهؤلاء القوم كفار، فلا مجال للتعامل معهم بدليل الوحي فحســـب، بل ينبغـــي إثارة عقولهـــم وأفكارهم بالدليل العقلي الذي يقوم على الاســـتنباط والمقارنات حتى يؤتي ثماره من تلك العقـــول، وهذا العرض لهذه المخلوقـــات جزء من هذا المعنى الكبير. وهي رســـالة لكلّ مربٍّ ومعلمٍ وأبٍ وصاحب رسالة ومشروع أن يقرأ



من حوله من العالمين، ويختار ما هو أنسب لإقناعهم، فإنّ ذلك من كمال الوعي والتوفيق. وهذا المعنى يجري في كلّ قضية يراد لها الحياة سواء مع نفسك أو ولدك أو طالبــك أو زوجك، ومع كلّ من حولــك حين نريد أن نبني قيماً، ونؤسّـــس لفضيلة، ونخلع عادات وسلوكات ســلبية يجب أن نتعامل بهذا المعنــى، وأن نناقش كلّ واحدٍ من هؤلاء من خلال الطريق الأنسب لإقناعه، فإن ذلك أدعى لتوسّــع مســاحات الربيع فــي حياتنا في مستقبل الأيام.

وتعلّمت منها: أنّ ثمة نهايات تنتظر كلّ مخلوق مهما طال عمــره ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ وتلك النهايات التي ننتظرها ليست شيئاً عادياً ولا حدثاً عابراً، ولا قصّة مكرورة، وإنما جنّة ونار، نعيم وعذاب، حســاب وجزاء، حيــاة وموت، ومَــنْ فَقِهَ هذه المعاني صار إلى خير مع الأيام. ولو أن عاقلاً أمهل نفسه



بضع دقائق في تصوّر تلك النهايات التي تنتظره، والأحداث التي تستقبله بمجرّد موته ووداعه للدنيا لقنع من أول الأمر، وآمن بقيّوم السموات والأرض، ولكنّها الغفلة لا تبقي شيئاً للذكرى. ماذا ينتظر الظالمون لأنفسهم، ولمن حولهم من العالمين يوم القيامة إلّا هذه الحسرات ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝﴾ وما الأفراح التي ينتظرها المتّقون في تلك اللحظات ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٦] فانظر أين موقعك، واستعد لتلك الأيام، وتجهّز قدر وسعك، فالأمر جدّ، ولا تغرّك الأماني، وكم من اعتذار جاء متأخراً، فلم يصنع لك شيئاً!

سورة النازعات



وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ
سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥
يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ
يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ
أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا
نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢ فَإِنَّمَا هِيَ
زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤ هَلۡ أَتَىٰكَ
حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى
١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ
أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ فَأَرَىٰهُ
ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ

﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾
فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ
سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا
وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ
﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ
ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾
فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ
ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ
عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ
رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾



علّمتني سورة النازعات: أنّ المشاريع مكلفة، وتحتاج إلى تضحيات كبيرة حتى تبلغ غاياتها في النهايات ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥﴾ وهذا الخطاب لرسول الله ﷺ يذكّره ربّه تبارك وتعالى بأنّ المسألة ضخمة وكبيرة، وتحتاج إلى جهاد يساوي قيمتها الكبرى في الحياة. ونموذج موسى عليه السلام مع فرعون يدلّك على تكاليف الطريق، ويبعث في مشاعرك حجم التضحيات التي يجب أن يبذلها رسول الله ﷺ في دعوته حتى تتحقّق له النتائج التي يرجوها والآمال التي ينشدها! ومن تخيّل قصة موسى عليه السلام وبداياته وصراع اللحظات الأولى، والخروج إلى مدين وقصة الزواج وحمل الرسالة، ثم مواجهة الطاغية فرعون وقصة السحرة، والخروج من مصر وقصة البحر، ومعالجة بني إسرائيل وتقلّباتهم في تلك المرحلة كلّها أدرك أنّ الطريق غير سالكة والمشروع ضخم كبير، والقضية تحتاج إلى تضحيات. وهذا الذي جرى في تلك الحقبة بالفعل، وقد لقي نبيّنا ﷺ في الطريق ذاته المشاق ذاتها، ضُرب ﷺ وجُرح وأُلقي سلا الجزور على ظهره وحوصر في شعب أبي طالب سنوات، وساوموه على



منهجه ورسالته ودينه، وطردوه من بلد الروح والجسد، ولقي في الطائف من أحزان الطريق وعاش حادث الهجرة، ولقي من أثقال التبعات ما لا يلقاه إلّا الكبار، وخاض معارك شتى مع اليهود والمنافقين، ثم أذن الله تعالى له بالنصر، وإذا تأملت ما بين بدايات الدعوة، والنهايات التي آلت إليها مع الظروف التي صاحبتها أدركت ما معنى التذكير بقصة موسى في بدايات الطريق، وأنت إذا أردت أن تحمل فكرة أو مشروعاً أو قضيةً، فاعلم أنّ المسألة كبرى، وتحتاج منك إلى التضحيات ذاتها وإنما تحمل من شرف قضيتك على قدر أثقالها وأحمالها في واقعك.

وتعلّمت منها: أنّ الأصل امتداد الصراع بين الحق والباطل، وما عدا ذلك فصور عارضة لا تقدر على الصمود، ولم يحدث أن تصالح الحق والباطل في بقعة من الأرض أو مساحة من الزمن، ولا سبيل إلى ذلك لأنّ المسألة حق وباطل، ولا يمكن أن يلتقيا في طريق،

وإذا كانت المســألة كذلك، فروّض نفســك على حمل رسالتك ومشروعك، وتكاليف قضيتك، فالمسألة كبيرة وضخمة بحجم الحق الذي معــك، والباطل، وإن كان يملك قوة وعتاداً وقدرة على مواصلة الطريق في مرات كثيرة إلّا أنّه إلى الإخفاق والفشل في النهايات، فلا تقلق لامتداد ذلك الصراع، ولســت مسؤولاً عن النتائج بقدر ما أنت مســؤول عن البلاغ المبين، ومن فقهك وكمال وعيــك أن تقبل صادقاً على دينك، وتتحمّل في ســبيل ذلك كلّ شــيء، وليكن همك إغاثة العالم من حولك، وتوسيع مســاحات الربيع، وملء كلّ فراغ، ولا يهزمك تأخر مشــروعك عن النجاح إذا كنت على الطريق، ولو أنّك قــرأت قصة موســى عَلَيْهِ السَّلَامُ وألقيت فيها بمشــاعرك وعقلك لأدركت الطريق بوعي، وتكوّن لديك ما يتحقق به النجاح في واقعك في مســتقبل الأيام فضلاً على أن تقرأ سيرة نبيّك ﷺ، وتأخذ منها ما يعينك على مواصلة الطريق وتحقيق آمالك في الحياة.



وتعلّمت منها: حاجة الدعاة والمصلحين والآباء والمربين رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، وأصحاب المشاريع والأفكار الناهضة عموماً إلى التسلية. إنّ الطريق شاقّ ومكلف ومزدحم بالعوارض والعقبات وصاحب المشروع قد يتعب ويجهد في أثناء الطريق، وقد يواجهه اليأس، ويعرض له الحزن والخوف، وقد يُصاب بالملل من طول المسافة، ولا يرى شيئاً يسدّ حاجة تلك الفاقة التي يبحث عمّا يسدّها، ولذلك كلّه كانت هذه النفوس بحاجة إلى تسلية وإعانة على مسافة طريق الدعوة الطويل، ومن هذا الباب جاءت قصة موسى عليه السلام، وكلّما شعرت بضعف همّتك، وفتور طاقتك، وذبول عزيمتك، فشدّ قلبك ومشاعرك بأصحاب الهمم والمشاريع. والوحي طافح بذلك، ومثل ذلك كتب التاريخ والسير الذاتية، وقد تجد من المسموعات والمرئيات في وسائل التقنية الحديثة ما يبعث الأشواق في قلبك ألف مرّة، وإن ظفرت بصديق صادق الهمّة قويّ العزيمة في واقعك ومساحتك فيمّم وجهك إليه، وخذ منه ما يعينك على مواصلة الطريق.



وتعلّمت منها: أنّ إدبار الكبار والوجهاء، وأصحاب الرياسات عن الدعوة شيء طبيعي، وسنّة جارية من فجر التاريخ إلى يومنا هذا ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ وما صنعت الدعوة لفرعون حتى يتّخذ منها هذه المواقف، ويقعد لها في عرض الطريق، بل يقرّر قتل كلّ مولودٍ من أولاد بني إسرائيل، ويستنفذ كلّ طاقاته ومهاراته وإمكاناته في سبيل وأد الفكرة من أصلها، وحجبها عن الظهور من البدايات! ما له ولها، وهي لم تأته بعد فضلاً أن تأخذ منه شيئاً! وفي حديث هرقل لأبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وعندما سأله أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكر أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل! ألا تستنكر إدبار أحد من هؤلاء! وكن على طريق الأنبياء، واجهد بكلّ ما تملك أن تسقيهم من رحيقها العذب، فليتهم عرفوا ما تحمل لهم! كم مرّة كانوا يظنون أن هذه الدعوة تسلبهم تلك الرياسات التي عاشوا عليها، وفاتهم أنّها تزيدهم بها رباطاً، وقد قال رسول الله ﷺ لأبي سفيان يوم احتاج إلى هذا المعنى «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**» رواه مسلم.



وتعلّمت منها: أنّ من فقه الإنسان وكمال وعيه أن يشتغل بالأسئلة النافعة في حياته، وأن يدع وقته وفكره من أسئلة لا علاقة لها بالعمل في شيء، إن سؤال هؤلاء ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ من قبيل الأسئلة التي لا تنتج عملاً، ولا تصنع شيئاً وإنّما هي تسلية وقت، وما ينفع السائل إذا علم الساعة أنّها اليوم أو غداً وهو يعرف أنها حق وأن ما بعدها أعظم من أن يتصوّره إنسان، وأنّ الفزع إلى العمل والتطبيق أولى ألف مرة من أسئلة لا تنتج ثماراً عملية في مستقبل الأيام. ولذلك كان الجواب ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾! ليس من شأنك الإجابة على أسئلة هؤلاء، حسبك أن تنذر أمتك، وتبيّن لهم ما ينتظرهم، وليس لك بعد ذلك شيء. وحين دخل الصحابي ورسول الله ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ أرشده ﷺ إلى العمل والتطبيق، فهو أنفع له من ألف سؤال من هذا المعنى (**ماذا أعددت لها**)؟! إنّ من فقه الإنسان أن يركز على الأسئلة التي تثري ساحات العمل، وتكتب

حظّها من التطبيق، وتأتي علـــى صاحبها بالخيرات، وما عدا ذلـــك، فغثاء يأخـــذ من أوقاتنـــا ولا يعطينا ما يستحق الحياة.

وتعلّمت منها: ضآلة هذه الحياة وضعفهـــا، وقلّة قيمتها ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ كم هم الذين عاشـــوا فيها ســـنين طويلة، ثم في النهاية صـــاروا إلى الموت! كثيرون يأتون يوم القيامة، وقد عاشـــوا عشرات الســـنين، وإذا بالحياة التي عاشـــوها كهذه الصورة التي يحكيهـــا القـــرآن ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ لا فرق! ليســـت يوماً ولا ليلة تامّة وإنّما هي ضحى يوم، وعشـــية ليلة من الليالي! كم هو الفرق بين مائة عام، وبين لحظة من عشـــيّ أو ضحى! ماذا لو أنك رأيت تلك اللحظة وأنـــت مفرّط في زمانك! وضائع في رسالتك وهدفك! وموغلٌ في الأماني، وقد فات عليك كلّ شيء!.

سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾



وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا
﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا
جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾
وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ
مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾
ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾
تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

علّمتني سورة عبس: أنّ القيم من أعظم المعاني التي جاء الشرع ببنائها وتأصيلها في نفوس العالمين! وهذا العتاب من الله تعالى لرسوله ﷺ في موقف تقديم كبار قريش على ابن أم مكتوم الأعمى درس في تأصيل هذه المفاهيم في واقع الحياة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾ ولو أنّك قرأت هذا النصّ بوعي لقام في قلبك إجلال هذا المعنى الذي يُقرأ على مسامع العالمين إلى قيام الساعة، وكلّ ذلك لتأصيل قيمة واحدة من القيــم الكبرى التي يجب أن تأخــذ حظّها من واقع الناس، وهي أنّ المفاضلة بين الناس لا تتمّ على مكانةٍ أو جاهٍ أو ســلطانٍ وإنّمــا تجري فصولهــا وفق دين الله تعالى دون النظر إلى شيءٍ آخر، ورسول الله ﷺ لم يصنع ذلك لنفسه، وإنّما لصالح الدعوة والرسالة التي يحملها، وهمّه الأكبر إقناع النــاس بدين الله تعالى، ومع ذلك لم يعذره الله تعالى، وجاءه الخطاب موجهاً، ويقرأ في كتاب الله تعالى إلى قيام الساعة حتى تتأصّل القيم في النفوس، وتأخذ حظّها من واقع الحياة، ولا تقف لزمنٍ أو حادثةٍ أو مكانٍ ما.

وتعلّمت منها: أنّ النقد وســيلة من وسائل النجاح، وأداة مؤثرة مــن أدوات التصحيح، ومن وعي كلّ إنســانٍ أن يفرح به، ويُســر ويدرك أنّه من أعظم وســائل نجاحه،



وترقيه في الحياة، ونحن هنا لسنا بصدد الإسرار أو النقد، فإنّ هذه مسألة راجعة للمصلحة والأثر المترتّب على ذلك، وكلّ إنسانٍ فقيهٌ بحاله ومساحته، وكيف تكون! ولكن ننبّه على أنّ النقد يعين صاحبه على بناء ذاته وتجاوز قصوره، ويهيئه للمرحلة القادمة من حياته باقتدار، ويبني لديه ملكات لا يمكن أن تأتي إلّا من خلاله، فإذا ما جاءك شيء من ذلك، فمن حقّك أن تفرح وتسعد به، وتعتبره فرصة للصعود، وسلّماً للنجاح، وله آداب مهمة، ولا يصلح إلّا لمن أوتي حظاً من العلم والفقه والأدب. ومن يسّر الله تعالى له صديقاً يتعاهده، وناصحاً يأخذ بيديه، وقريباً يدلّه على مواطن النجاح والإخفاق، فقد توفّق لخير كبير، فإن لم يجد من ذلك شيئاً فلا أقل من أن يستنصح من يراه صادقاً قريباً منه عارفاً به حتى يعينه على الترقّي في مستقبل الأيام.

وتعلّمت منها: أنّ وجود الأخطاء في مشروعك الذي تحمله، وفكرتك التي تقوم بها، وقضيتك التي تعيش من أجلها شيء طبيعي جداً، فلا تثقلك الهموم عند



سماع شـــيءٍ من ذلك، وإذا كان رســول الله ﷺ الذي تولّـــى الله تعالـــى تزكيتـــه وتربيتـــه وتأهيله لرســـالته ومشـــروعه يخطئ، ويقيّمه الله تعالى من خلال رسالة علنية، فغيره من باب أولى! إنّ جزءاً من مشكلاتنا أنّنا نريد أن نحمل أفكاراً ومفاهيم، ونصنع تضحيات وفي الوقت ذاته غير متقبلين للأخطاء والنكسات التي تقع منّا في ثنايا الطريق، ونجد منها حرجاً يكاد يُفضي بنا إلى ترك أفكارنا ومفاهيمنا ومشاريعنا التي نعيش لها. ومن أراد لنفســـه النجاح والتوفيق، فعليه أن يؤمن بأن نجاحه القادم لا يقــوم إلّا على ركام الأخطاء التي يقع فيها، وهـــي قاعدته التي يقف عليها كبيراً مدهشـــاً في مستقبل الأيام.

وتعلّمت منها: أنّ الهداية حقّ للجميع ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ بغضّ النظر عن جنس الإنسان ولونه وفقره وغناه ومكانته وموقعه، ومن أقبل إليها صادقاً كان حقه منهـــا أكمل ما يكـــون، ومن أعـــرض عنهـــا وأدبر عن أحداثها، فلا قيمة له في شـــيء، وحســـبه أنّه هو الذي



رفض، وأبى آثارها وتخلّف عنها، ولا يظلم ربّك أحداً. إنّ الدعوة ليست بحاجة إلى أحد مهما كان ذكاؤه وتعدّدت مهاراته، وتنوعت مجالاته بل هو في أمسّ الحاجة إليها، وستظل منصورة بذاتها، وتأخذ مساحتها كما أراد الله تعالى لها، ويجب أن يُفقه أنّ الفقير المسكين المقبل على خيرات الدعوة خير لها، وأفضل ألف مرّة من كثير من الموهوبين وأصحاب القدرات والمسؤوليات الذين يأتون إليها، وهم محمّلون بأمراضٍ من الكبر والعلو والحسد، فلا هم الذين دفعوا بها نحو أهدافها، ولا هم الذين أسلموها من تلك الأمراض التي قد تحيط بها. إنّ الفقير المسكين المعوّق المقبل عليها، والفرح بأحداثها أعظم لها وأولى من غيره، ولو كان الآخر يملك كلّ شيء.

وتعلّمت منها: أنّ المسؤولية فردية، وأنّ كلّ إنسانٍ مسؤول عن نجاحه وإخفاقه في النهايات. ولن يغني عن الإنسان أسرة أو قبيلة أو مجتمع من المجتمعات، وإن كانت هذه المعاني تجدي عن أصحابها في الدنيا،

فهي لا تنفع في شـــيءٍ بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ يجب أن نتعلم أنّ الأســـرة ليست مسؤولة عن نجاحنا وإخفاقنا وإن كان لها دور، ومثل ذلك المجتمعـــات التي نعيش فيها، والأصحاب الذين نخالطهم، ومن فقه الإنسان وكمال وعيه أن يأخذ حظّه من العلم، ويبني نفسه من خلال العمل الصالح، ويســـتعد للقاء الله تعالى، وليعلم أنّ المسألة جد، وأنّه ســـيأتي اليوم الـــذي تعرض فيـــه هذه الســـورة بعض مشاهده وأكثرها ألماً في سيرته وواقعه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ رأي عين! ولو أنّ عاقلاً أمهل نفسه بعضاً من الوقت في تخيّل المشـــهد لأدرك ما يقال له اليوم قبل الفوات. والله المستعان.

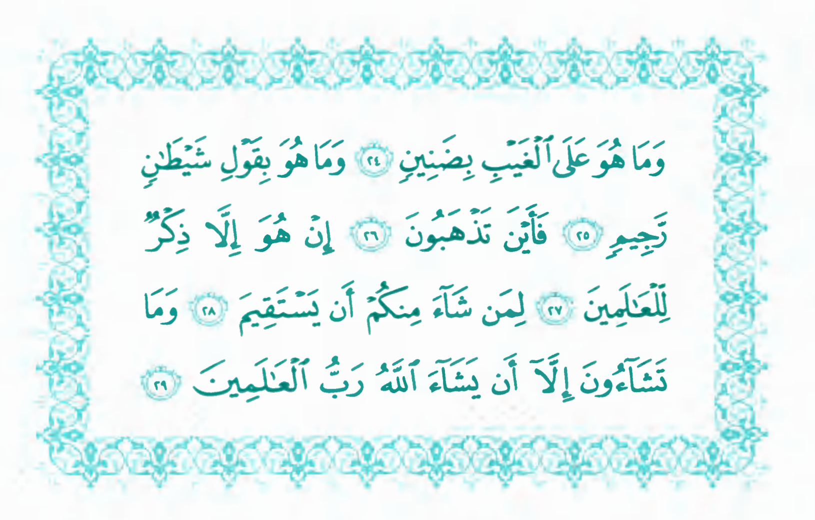


سورة التكوير

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾
وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾
وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾
وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾
بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا
ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ
أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ
بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾
وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي
قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا
صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾





علّمتني سورة التكوير: أنّ ثمة موعد للنهايات ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ وهذا العلم في يوم القيامة بعد أن عرضت السـورة تلك الأحداث الكبـرى ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ وما من قارئ لهذه الأحـداث التي يتبدّل فيها كل شيءٍ في الكون، وتتغيّر معالمه كلّها، إلّا وسيقف بين يدي الله تعالى للسـؤال والحساب والجزاء، وما من قارئ ولديه قلب إلّا اسـتيقظ وعاد إلى الله تعالى، ومن لم يجد



شـــيئاً من ذلك فما لجرحٍ بميّت إيلام! وهذه السورة من السـور المكية التي جاءت لتعيد بناء الإنســان، وتشكّل تصوراته، وتوقظ قلبه ومشاعره لاستقبال الحياة كما يريد الله تعالى. ومن قــرأ هذه المعاني وتأمّــل تلك الأحداث صنع لنفسه شيئاً قبل الفوات.



وتعلّمـت منهـا: أنّ القــرآن أعظــم مصادر الحيــاة على الإطلاق! ومن أقبل عليه وعى منه كلّ شيء، وقد قال الله تعالى واصفــاً شــأنه ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ وما قرأه متدبّر إلّا أحياه الله من جديد! وما حاجة الإنسان لشيءٍ في هذا الزمن حاجته إلى وردٍ يتلوه ويتدبره، ويســتقي منه الحياة. ولو أنّ كلّ إنسان قسم له من ســنام يومه، وأقبل عليه صادقاً، وتدبّر ما يتلوه، وأجرى لما يقرأ عملاً لنفــض عنه غبار الغفلة، وشحذ همّته، وصنع لنفسه منزلاً بين الأحياء. ثمة أناس لا يدركون ما الذي يمكن أن يحدثــه القرآن في حياتهم، وآخرون يدركون، ولكنهم لا يعرفون كيف يَصِلُون، وفريق ثالث يدرك ويعــرف، ولكنّه لم يضعه في سُــلّم أولوياته



بعد، ومن تأمل واقع اليوم رأى فيه كل شيءٍ إلّا أنّه خال في الوقت ذاته، من الطمأنينة واللذة واجتماع القلب، أدرك أنّ حاجته لكتاب الله تعالى تفوق كلّ حاجته، وليس بين الإنسان وبين هذا المعنى الكبير إلّا أن يبدأ ويستعين بكلّ ممكنٍ وستحين مواعيد الأفراح يوماً ما.

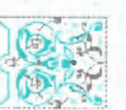
وتعلّمت منها: أنّ الجود من صفات الكبار، وما رأيته مدهشاً في الواقع طالب علم فتح الله تعالى له في هذا الباب وهو قائم بحقّه من العمل باذلٌ له في كلّ من حوله، باسطٌ آثاره في المساحات التي يعيش فيها، فكم هي عوائد الخير عليه! وكم من فواتح توفيق تأتيه، وهو على سرير نومه من أثر ذلك المعنى الكبير، ورسول الله ﷺ على رأس القوم وفي مقدمتهم، وهذه شهادة الله تعالى له ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ۝٢٤﴾ وقد قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وددت أنّ الخلق تعلّموا هذا العلم، ولم ينسب إليّ منه شيء. ا.هـ. وهذا نوع من الجود يتجاوز البذل والعطاء إلى الفرح بما وصل الآخرين، وخلّص نفسه من آثار الرياء، وفي المقابل كم من طالب علم في



مساحة جهل لم تلق منه ما يبدّد به الظلام! كم من طالب علم ووالداه أو أسرته تقع في أخطاء، وتمارس سلوكات خاطئة، ولم ينلهم شيء من حظوظه بعد! وليس الجود وقف على العلم بل في كلّ شـــيء، وكــم من صاحب مهارة ومال ومســؤولية وجاه وســلطان، وقوّة، وملَكة يمكن أن يصنع منها ومن خلالها كلّ شيء.







سورة الانفطار

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾
وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ
نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ
بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ
﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ
بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ
﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾
وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾
وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾
ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ
نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾



علّمتني سورة الانفطار: أنّ الغفلة من أعظم الأخطار التي تواجه الإنسان في حياته، وما تزال بصاحبها حتى تنسيه نفســه التي بين جنبيه، وتضيع عليه مصالحه، وتحرفه عن مقصــده الكبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧﴾ [الانفطار: ٦، ٧] وإذا أردت أن تعرف قدر هذه الغفلة، فانظر إلى إنسانٍ خلقه الله تعالى وسوّاه وعدله، وجعله في أحسن صورة وكرّمه، وجعله مناط الرسالات، ومع كل ذلك لا يلقي لربّه تعالى بالاً ولا يُجلّ أمره، ولا يعظّم شعائره ولا يقوم له بشــيءٍ من حقوقه، ويعاتبه الله تعالى في هذه الســورة عتاباً رقيقاً ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾! ما الذي أنساك ربّك الذي خلقك! ما الذي ألقى في قلبك هذا الإعراض عن ربك الكريم! من خلق وســوّى وعدل وركّب أحســن الصور ما حقه هــذا الإعراض! ومن الوعي أن يتدارك الإنســان نفسه، ويحميها من الغفلة بالإقبال علــى كتاب الله تعالى تــلاوةً وتدبّراً وتأمّلاً، ومثل ذلك ســنّة نبيّه ﷺ، وأحاديــث الوعد والوعيد والجنة والنــار منها على وجه الخصــوص، ويتعاهد



نفسه بشيءٍ من المواعظ التي تجلو قلبه، وتصنع فيه الحياة، وسينجلي غبار هذه الغفلة بإذن الله تعالى مع مرور الأيام.

وتعلّمت منها: أنّ رقابة الله تعالى على كلّ ما يجري في حياتك الخاصة والعامة أمر لا يحتاج إلى براهين، وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ ما يكشف عن ذلك المعنى الكبير، فالأمر جدّ ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] ولن يذهب شيء من العمل سدى، وكلّ ما يجري في حياة إنسان مرصود ومكتوب ومحفوظ، وسيأتي في يوم أحوج ما يكون فيه إلى النسيان، ولا يغرّك أنّك لا ترى أحداً حولك، فلن يحميك من تلك الرقابة شيء، فكن أول العارفين بقدرة ربّك، وأول المستحين من ملائكته، وليس من الحياء أن تعاقر محرّماً، والله تعالى يراقب تصرفك، ويرى فعلك، وملائكته تعالى تراك في الوقت ذاته وترقبك وتدوّن



عليك، وتأتي يوم القيامة بكتابــك، وفيه ديون كنت منهــا في حلّ لــولا هــذه الغفلة التي غشــت قلبك ومشــاعرك، وما حاجتنا اليــوم إلى شــيءٍ كحاجتنا للأدب مع الله تعالى في مثل هذه الأيام.







سورة المطففين



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي



عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ
﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى
ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ
﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا
ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ
فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ
﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ
يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾



علّمتني سورة المطففين: أنّ التعامل مع الآخرين دين يتعبّد به الإنسان لربّه، ويرقى به، ومن خلاله يتبوأ أفضل المنازل في الدارين، وهذا الوعيد للمتخلّفين عن هذا المعنى ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ دليل هذا المعنى الكبير. التطفيف هنا ليس شيئاً خاصاً بالمكيال الحسيّ الذي توزن فيه أرزاق الناس ومأكولاتهم، بل هو جارٍ في كلّ تعاملٍ تجريه مع أبويك وولدك وجارك وصديقك، وكلّ من حولك، وثمّة خصام سافر بين الحقوق والواجبات ينتهي غالباً لصالح الحقوق، وقلّ أن تجد فرداً يتنازل عن شيءٍ من حقّه في مقابل تخلّف متعمّد في أداء الواجبات. تعلّمنا هذه السورة خطر التطفيف، وهو أخذ حقوقنا مقابل التخلّف عن واجباتنا، وتدعونا أن نعتبر التعامل مع الآخرين دين كبقية شرائع الإسلام لا فرق، وقد قال ﷺ: «**إنّ من أحبكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**» رواه الترمذي، وقال ﷺ: «**إنّ صاحب حسن الخلق يبلغ درجة الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر**» رواه أبو داود، وقال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله**» رواه الترمذي، وهي دعوة أن نعيد تصرفاتنا مع



أزواجنا وأولادنا على وفق هذا المعنـــى الكبير، ونَعُدّ ذلك ديناً نتعبد الله تعالى به، ونعتبر أيّ نقص في تلك الواجبات هو نقص في ديننا وعبادتنا لله تعالى.

وتعلّمـت منهـا: أنّ التنافس الكبير يجـــب أن يكون في غايات الآخرة، وأنّ من وعي الإنسان وفقهه وكمال علمه أن يبلغ جهده من هذا المعنى حتى يأتي منه على أمانيه ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾ ومن قرأ هـــذا النعيم وأدرك ما ينتظره عند الله تعالى يـــوم القيامة علم حاجته للعمل واستثماره لكلّ ممكن قبل الفوات.

مشكلتنا اليوم أننا مشغولون بهذه الدنيا، مقبلون عليها، متنافســـون فيها بصورة كبيرة وضخمـــة للدرجة التي كوّنت بيننا تقاطعـــاً، وتباغضاً، وربّما وصلت بكثيرين إلى القتل، بينما تلك الدار التي يخبرنا الله تعالى فيها بالنعيم، ويدلّنا فيها على التنافس في أحداثها لم تأخذ حظّها من قلوبنا بعد! وواجب طلاب العلم والمثقفين



كبيـــر في إثـــارة مفاهيـــم النصـــر والهزيمـــة، والربح والخســـارة من خلال الوحـــي لا من خـــلال مصادر لا علاقة لها ببناء الحقائق الكبرى في نفوس العالمين، فإنّ الناس في النهاية نتيجة لما تسمع وترى فيما يجري حولها من أحداث.



وتعلّمت فيها: أنّ العبـــرة بالنهايـــات! وأنّ كلّ صور الانتصار في الدنيا لا شـــيء بالنســـبة لذلك الانتصار الكبير فـــي الخواتيـــم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۝٣٣ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ كـــم من أفـــراح دارت فـــي الدنيا على انتصارات وهمية! وكم من أحـــداث بات يضحك فيها أهل الباطل بملء أفواههم، ثم هي في النهاية لا شيء.

لا تنشغل بما تراه من واقع عدوك، ولا يفت في عضدك تلك الانتصارات التي يحقّقها في مساحة من الأرض،



بل الواجب عليــك أن تتحمّل أعبــاء طريقك، وأثقال فكرتك ومشروعك، وهموم قضيتك، وتصلح ما بينك وبين الله تعالى حتــى تبلغ بها الآمال التــي تنتظرها، والأشواق التي ترجوها في الختام، وما هي إلّا فترات، ويحين موعد النصر الكبير.





سورة الانشقاق



إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ (١) وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ (٢) وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ (٣) وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ (٤) وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا (٩) وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ (١٠) فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا (١١) وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا (١٣) إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا (١٥) فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ (١٦) وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ (١٨) لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ (١٩) فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (٢٠)



علّمتني سورة الانشقاق: أنّ التعب والكدح والعناء جزء من حياة كلّ إنسانٍ ما دام في عرض هذه الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ لن تبلغ رضى ربك وجنّته ومعارج التفوّق في حياتك ونجاحك في الدارين إلّا من خلال هذا المعنى، وستواجه عناءً كبيراً وشاقّاً في طاعتك وأورادك العبادية، وستتحمّل أثقال العبادة طويلاً حتى تجد أفراح ذلك في النهايات، وفي المقابل ستعيش الكدح ذاته والعناء والجهد في طريق شهواتك وأمانيك التي ليست على طريق الحقّ، ولن يأتي لك منها شيء يسير البتة، ولا تظنّنّ بأنّ من هو عاكف على شهواته، ويجري في فلك رغباته أنّه سالم من عنائها



وجهدها وتكاليفهـا وأثقالهـا، فوطّن نفسـك على هذا المعنى، وأحسـن إقبالـك إلى الله تعالـى، وتحمّل أعباء الطريق، وسترى غداً من أرباح جهدك ما لم يكن لك على بالٍ، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ وفي المقابل عناء ذلك الضالّ إلى غير هدى، ونهايته إلى ضلال ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ وكـم بيـن الفريقين من بون! وكـم هي المسـافات بين أفراح النعيم وخواتيم السوء!

وتعلّمت منها: أنّ الحيـاة لا تدوم على حـال! وأنّ كلّ إنسـانٍ معرّض للضعف والانتقال من حـالٍ لآخر حتى يأتي المـوت ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ فسـتنتقلون من حالٍ لآخـر، من الصغر إلـى الكبر، ومن الشـباب إلى الشـيخوخة، ومن الصحة والعافية إلى المرض والقعود، لن يدوم شبابك، ولا صحتك، ولا نشاطك، ولا فراغك، بل كلّ هذه سـتجري عليها أحداث التغيير، وستزول في النهاية، وإذا كانت هذه هي الحقائق، فمن كمال وعيك أن



تستثمر هذه النعم قبل زوالها، وتغتنم كلّ فرصة قبل فواتها، وتدرك أنّ كلّ تفريط يمضي من عمرك غير قابلٍ للتعويض في مستقبل الأيام إلّا أن يدركك الله تعالى برحمته ومثلك أوعى بالفقه، فلتكن في مستوى الحدث، فما كلّ نعمةٍ باقية! ولا كلّ فرصة لديها الاستعداد للانتظار!

وتعلّمت منها: أنّ خلل الرؤية أخطر ما يواجهك ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وكلّ ضياعٍ في حياتك ـ عافانا الله وإيّاك ـ إنّما هو فرع عن خلل ذلك المعنى الكبير في حياتك.

إنّ أمم الأرض اليوم تعاني خللاً في رؤيتها وضبابية كبيرة جداً أفقدتها بوصلة الشمال، وضاع منها في النهاية كلّ شيءٍ. ولولا هذا الخلل الذي أصاب هؤلاء في أصل الرؤية لعرفوا لِمَ خلقوا؟ وإلى ماذا سيصيرون في النهايات؟ وماذا ينتظر من أمة أو فرد لا ينتظر حساباً، ولا يخاف من عقاب، وإنّما هي أشبه ما تكون بالأنعام



كما قال الله تعالـــى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقـان: ٤٤] ومـــن الفقه أن نـــدرك تلك الرؤية التـــي حددها الوحي ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريـات: ٥٦] ثـــم نجهد بكل ما نملك في ملء هذه المســـاحات بأحداث العمل والبنـــاء، ولا نتوقّف حتى نلقى الله تعالى على مشـــاهد الحياة.





سورة البروج

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾





ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

علّمتني سورة البروج: مكانة المؤمن عند ربّه تبارك وتعالى، وحبّ الله تعالى لعباده المؤمنين، وهذا القسم العظيم منه تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ دليل على مكانة أهل الإيمان ﴿قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ لُعن الذين شَقّوا في الأرض حفراً، وأوقدوا فيها النيران لتعذيب المؤمنين الصادقين، يتوعّدهم الله تعالى بالطرد من رحمته، وأوجب عليهم الخذلان لأنهم آذوا عباده وامتحنوهم في دينهم، وتولّوا تعذيبهم بالنيران، ومن عرف قدر هذا المعنى قام الله تعالى في قلبه، وزاد تمسّكه بدينه ومنهجه، وأقبل راغباً مُجِلّاً



لشـــريعته، وهو يشـــعر بروح العـــزّة والجلال تهتف بمشاعره إلى أقصى مدى ممكن في الحياة. ومن أنت حتى يقوم الله تعالى لـــك، لولا هـــذا الإيمان الذي تجري معالمه في حياتك!

وتعلّمـت منهـا: أنّ الابتلاء ســـنّة إلٰهيّـــة لا تتخلّف عن أصحاب الإيمان ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ ﴾ وما لهؤلاء والعـــذاب بالنار! ما لهم ولأثقال هذا المعنى الكبير لولا أحـــداث الإيمان التي قامت في واقعهم حتى تلقاهم البلاء في عرض الطريق، ومن قـــرأ الوحـــي أدرك أنّ البلاء ســـنّة فـــي حقّ أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١] وقد سئل النبي ﷺ أيّ الناس أشـــدّ بلاء؟ فقال ﷺ: «**يبتلى الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حســـب دينـــه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حســـب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**» رواه الترمذي وابن ماجه،



وهذا المعنى موجب للمؤمن ألّا يتبرم ممّا يصيبه، وأن يعلم أنّ هذه سنّة الله تعالى، ويتحمّل كلّ قادم، ويحتسب أجره عند الله تعالى، ويعدّه من علامات حبّ الله تعالى له، ويقبل صادقاً على ربّه، ويحسن التوكّل عليه، والصبر على ما أصابه حتى يحين موعد الفرج، ولو بعد حين بإذن الله تعالى.

وتعلّمت منها: سعة رحمة الله تعالى وعفوه وصفحه عن المخطئين مهما كان ذنب الواحد من هؤلاء، فإنّ هؤلاء حفروا الأخاديد للمؤمنين المساكين، وألقوهم فيها، وعذّبوهم بالنار، وصنعوا فيهم كلّ شماتة، ومع ذلك يعرض الله تعالى عليهم التوبة قبل فوات أجلها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ [البروج: ١٠] وأبان بعد ذلك عن صفته اللازمة له تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١١﴾﴾ ومن قرأ هذا الوعد بوعي أدرك أنّه لا حدّ لرحمة الله تعالى! وقد قال في كتابه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، بل قال لأهل الكفر، وقد

صنعوا كلّ قبيح: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨] وهو درسٌ نافعٌ لكلّ مؤمنٍ مهما كانت خطيئته، فعليه أن ينيب إلى ربه تبارك وتعالى، ويستعتب من ذنبه، ويسأله ملحّاً العفو والغفران لعلّ الله تعالى أن يقبله، ويتوب عليه، ويغفر له، ويعيده عبداً صالحاً في الحياة من جديد.

وتعلّمت منها: أنّ الله تعالى يمهل ولا يهمل، ويمدّ لعدوّه المعرض عن منهجه زمناً طويلاً، ولكنّه إذا أخذه لم يفلته ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] يخبر تعالى في هذه السورة عن صفة من صفاته ومعلم من معالم قوّته وجبروته، وأنّه إذا بطش صنع كلّ شيء ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ ﴾ وإذا تأمّلت مصارع الأمم في التاريخ التي أجرى عليها بطشه عرفت ما ينتظر الأعداء والمعرضين في مستقبل الأيام، وقد أشار تعالى في ختام هذه السورة إلى ذلك فقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ ﴾ وهي قصصٌ تبيّن كيف



أنّ الله تعالــى إذا بطش بعدوه بطشَ بطْـشَ جبّار متكبّر جلّ فــي عــلاه. وفي قــول الله تعالــى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ ما ينبئـك عن مطــاردة الله تعالــى وملاحقته لمسلســل الإعراض عنه، وإحلال عقوبته بهم، وجريان درس التاريخ عليهم كما جرى على من قبلهم لا فرق.



سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

علّمتني سورة الطارق: كمال قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته ورقابته على كلّ ما يجري في الكون، وهذا القَسَم العظيم بمخلوقاته تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ دليل على ذلك المعنى ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ وما من نفس في الدنيا من



خلــق آدم إلى قيــام الســاعة، إلّا وعليهــا حافظ من الملائكة يدوّن كل شيء، ويحفظ ذلك عنها حتى يوم القيامة لا يفوت منه شــيء. ومن عرف أنّ كلمته التي يقولها، وحرفه الذي يكتبه، ورســالته التــي يدوّنها، ومشاركته التي يبعث بها، وعمله في مساحة ما، ودوره الذي يصنع به الحياة، ستأتي مدوّنة مكتوبة ومضبوطة لا يفوت منها شــيء عرف قــدر الله تعالــى، وقام له بحقّه، وأجلّ شــرعه، وقام له بواجباتــه وصنع له كلّ شيء ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾.

وتعلّمت منها: أنّ كلّ إنسانٍ خلق من نطفة ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ لا فرق بيــن أميرٍ ووزيرٍ، وعالمٍ وجاهلٍ، وصغيرٍ وكبيرٍ، ورجــلٍ وامرأةٍ على حدٍّ سواء. ومعرفة هذا المعنى مؤثّرة في معرفة الإنسان لنفسه وإدراكــه لواقعه، ومؤذنــة ـ بإذن الله تعالــى ـ بتواضعه وقيامه بحقوق من حوله من العالمين. نسيان هذه القضية ولّد بين النــاس تمايزاً على غير هــدى الوحي، وصنع فروقات من آثــار الجاهليــة، وخلّف نزاعاً ســافراً بين



كثيرين في قضايا نسـب قبلي وغير قبلـي، وخلق بين الناس نوعاً من الجاهليّات باتت تأخذ حظها من نفوسهم وواقعهم مع الأيام، ونشـأ على إثر ذلك نزاعات كثيرة جداً أفضت إلى ضياع حقوق بعض هؤلاء وهم من أهل الإيمان، وصار التعامل على أشـياء مـن ظاهر الحياة، وليس لها صلة بقيمها في شيء.

وتعلّمت منها: أنّ مدار الفوز والخسارة يوم القيامة على صلاح القلـوب ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ وأعظم الأعمال أثراً في حياة صاحبهـا ما جرى بها فـي فلك الإخلاص لله تعالـى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ومَنْ فَقِهَ هـذا المعنى أقبـل على قلبـه، وتعاهد نيّته، وصحّح منها ما اسـتطاع وكرّس جهده في سـبيل تلك الغايات الكبـرى، وعلم علـم اليقيـن أنّ المخلوقين لا ينفعون في شربة ماء فضلاً عن غيرها من الأحداث، وفي الحديث: «**إنّمـا الأعمال بالنيـات**» رواه البخاري ومسلم، فلا تبرح هذا المعنى في كلّ جهدٍ تبذله أو عمل تقوم به سواء كان عملاً أو تركاً، وقد كان بعض سلفك



يقول (إنّي لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي).

ما يجري في قلبك عليه مدار فلاحك وخسارتك، وما تطويه نيتك سيؤثّر في حياتك، ولن تنفعك الصور في شيء، والله يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

وتعلّمت منها: أنّ الوحي عاصم من الضلال ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ ومن كمال فقهك وعلمك أن تَرُدّ إليه كلّ شيءٍ صغر أو كبر، جلّ أو حقر! ونحن في زمن فتنٍ، وتموج في الأمة أفكار ومفاهيم وتصوّرات يراد بها تبديل وتغيير الدين، وأدنى تهاون في هذه القضية مفضٍ إلى ضياع مفاهيم ضخمة لدين الله تعالى في واقع الحياة. ولن يردّ الأمة إلى رشدها، ويعيد لها صحّتها وعافيتها البدنية والمعنوية إلّا عمل مرتّب منظّم يجري من خلال أفكار ومفاهيم وتصوّرات الوحي فقط. ولو أنّ كلّ فردٍ منّا ردّ كلّ ما يعرض له على الوحي، وحاكمه إليه لعاش على نورٍ وهدى ما بقيت الحياة.



وتعلّمت منها: أنّ جهود الأعداء مهما بلغ شأنها وحجمها وأثرها الظاهري الكبير في الكون، فهي إلى ضياع! ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ فلا يغرّك ما تراه منهم، ولا يؤذي قلبك ما تسمع به من أخبار وأحداث، فإنّها وإن طال زمان أثرها ليأتينّ عليها زمان بالضياع. هذا هو وعد الله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ ولن يخلف الله تعالى وعده. وإذا امتلأ قلبك من هذا الوعد، وجرى في مشاعرك كان لزاماً أن تصدق في التزامك بمنهج الله تعالى، وأن تقوم بحظوظ دينك، ورأسك يطاول السماء، وتقرّر ألّا تهزمك ظروف زمانك مهما كانت شدتها وغربتها، وسيحين ذلك الوعد، وترى بعينيك ما يجري الحياة في قلبك إلى أقصى مدى.





سورة الأعلى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾



علّمتني سورة الأعلى: أنّ من كمال توفيق الله تعالى لعبده أن يرزقه إجلاله وتعظيمه والقيام بحقّه، وتنزيهه عن النقائص قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ فهذا الكون بجماداته وحيواناته وطيره وحشراته دليل قدرته تعالى، وقد قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وحقّ هذا المعنى الكبير الإجلال والتعظيم والتنزيه، ومن تأمّل هذا الإبداع في خلقه تعالى أدرك ما لربّه عليه من حقّ، وقام له بكلّ واجبٍ، وصنع له كلّ شيء.

وتعلّمت منها: أنّ حظوظ الداعية إلى الله تعالى كبيرة وضخمة ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ وحقّ هذا المعنى ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ أن يقع في شغاف قلبك ومشاعرك سواء كنت أباً أو معلّماً أو زوجاً أو مربّياً في أيّ مساحة من الأرض، وهي بشارة على أنّ كلمتك ستبلغ موقعها من قلوب السامعين يوماً ما خاصّة تلك المواعظ



التي تجلّ الوحي، وتعتني به، وتجعله هو الوسيلة الضخمة لإقناع الآخرين بدين الله تعالى. وهي نافذة في المقابل تُطلّ بك على الأمل. وكم من أحداثٍ وأخبارٍ من آثار الدعوة على أصحابها بعد طول زمانٍ! قال أحدهم: دُعيت للقاء، وقد تعبت في هذا السفر، وحين ألقيت كلمتي صاحبها فوضى وضعف ترتيب، وعدم عناية حتى تمنّيت، وأنا ألقي أنّني لم أجب هذه الدعوة، وكنت أبحث عن الخلاص بكلّ طريق، وحين فرغت من محاضرتي خرجت وأنا أشعر بالأسف على ما حصل، واعتبرت ذلك نوعاً من ضياع الوقت، وسافرت، وفي أثناء نزولي من الطائرة إذا بمتّصل يقول لي: كنت عندنا قبل قليل، وأبشرك بأنّني قرّرت أن أغيّر واقعي وأبدأ حياة جديدة. وكم من خبر مدهش كان قريباً! وكم من سامع للموعظة ردّ بعد طول غياب! وكم من كلمة ودور وجهد صنع لصاحبه الحياة! يجب أن نؤدي أدوارنا، ونملأ مساحاتنا، ونحن موقنون بهذا الوعد العظيم ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ طال زمان تلك الذكرى أو قرب، بعد أو قصر لا فرق.





وتعلّمت منها: أنّ من أكبر المشـــكلات التي تواجه عالم اليوم الانشـــغال بالفانية على حساب الباقية ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ يسيطر على الكثير اليوم التفكير فـــي الدنيا لدرجة أنّهم لـــم يبقوا للآخرة شيئاً، وثمّة نجاحات كبيرة في قضايا الدنيا، ولكنها في مرّات كثيرة على حســـاب تلـــك الدار. ومـــن آثار هذا المعنى من يتاجـــر وينافس بقوّة ويعرف كلّ شـــيءٍ عن إدارة المال والإبـــداع في زيادته، وهو فـــي الوقت ذاته لا يعتني بأمر آخرته في شيء، فقد يجمع من حرام، أو ربا، أو غش، ثم لا ينظـــر إلّا إلى تلـــك الزيادات التي يكاثر بها حســـابه، وفي المقابل قد يكون حريصاً على جمع الأمـــوال، ومتفنّناً في جمعها، ومـــن طرق مباحة، ولكنّها تبقى مكدّســـة عن الإنفاق في ســـبيل الله تعالى فيبقى أشـــقى من يكون بذلـــك المال، بعيـــداً عن فقه آخرته، وما أعدّ الله تعالى له في تلك الدار.



سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ





علّمتني سورة الغاشية: أنّ من أراد بناء مستقبله بوعي، فعليه أن يبدأ من خلال الوحي، وهذه النهايات التي تكشفها سورة الغاشية للمهتدين والضالين هي واحدة من تفاصيل ذلك المعنى الكبير، ومن تأمل هذه النهايات التي يسردها الوحي للضائعين ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ عرف ما ينتظر كل إنسان في النهايات! تعرض لنا السورة حال المفرطين في صناعة مستقبلهم الضائعين في النهايات، وتحكي لنا حالهم في النار: وجوه خاشعة ذليلة متعبة مجهدة مكبّلة بالسلاسل، ومقيّدة بالأغلال،



وفي نار جهنم، يشربون من عين بلغ ماؤها غايته في الحرارة، ويأكلون أخبث الطعام وأنتنه لا يسدّ جوعاً، ولا يسمن من شيء. وتعرض لنا في المقابل تلك الأفراح التي تتهادى إلى قلوب الفائزين الناجحين ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝٨ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ وما قارئ لهذه الأحداث إلّا آخذ منها العبر!

وتعلّمت منها: أنّ التفكر في مخلوقات الله تعالى وسيلة من وسائل الهداية إلى الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ ومن أعطى هذا الخلق بعض وقته وتفكيره دلّه على الله تعالى من أقرب الطرق! وهذه الوسيلة إحدى وسائل التعرف على الله تعالى وتعظيمه وإجلاله، وقد دلّنا الله تعالى في جملة آيات من كتابه تعالى على التفكّر والتدبّر في شأن هذا الخلق، وكم من متعظٍ بمشهدٍ واحدٍ من تلك المشاهد!



وكم من معــرضٍ، وقد رأى ألف مشـــهد، وما صَنَعَ في قلبه شيئاً من الذكرى!

وتعلّمت منها: أنّ مسؤولية الداعي إلى الله تعالى إيضاح الحق بدليله وبراهينه ووســائله الممكنة، والفاعلة في الوقت ذاته، وما عدا ذلك، فمردّه إلى الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] وحســب الداعية بذل الممكن، وحركتــه الفاعلة في واقعه وجهده في ســبيل إبــلاغ ديــن الله تعالى بكلّ طريق، وألّا يدخر جهداً سواء في تأهيل نفسه وإعدادها لهذه المهمّة الضخمــة أو في اختيــار الطريق الأمثل لوصول هذه المعاني إلى قلوب المدعوين، ثم ليس له بعد ذلك شيء. إنّ مهمة الداعية سواء كان أباً في بيته، أو زوجاً مع زوجه، أو معلماً في مدرســته وحلقته، أو إمام مسجد، أو مربّياً في محضن من المحاضن إيصال مفاهيم الوحي بأنجــح الطرق والأســاليب، ثم يترك ما بقي لربّه تعالــى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ ونخطئ في مرّات كثيرة جداً حين



نحســـب عوائدنا من هذه الدعوة، ونجهـــد في معرفة الثمار، ومن كان حريصاً على ذلك أوشك أن يقعد عن العمل ولو بعد حين، وحســـبنا الذكرى، وليس لنا بعد ذلك من شيءٍ.



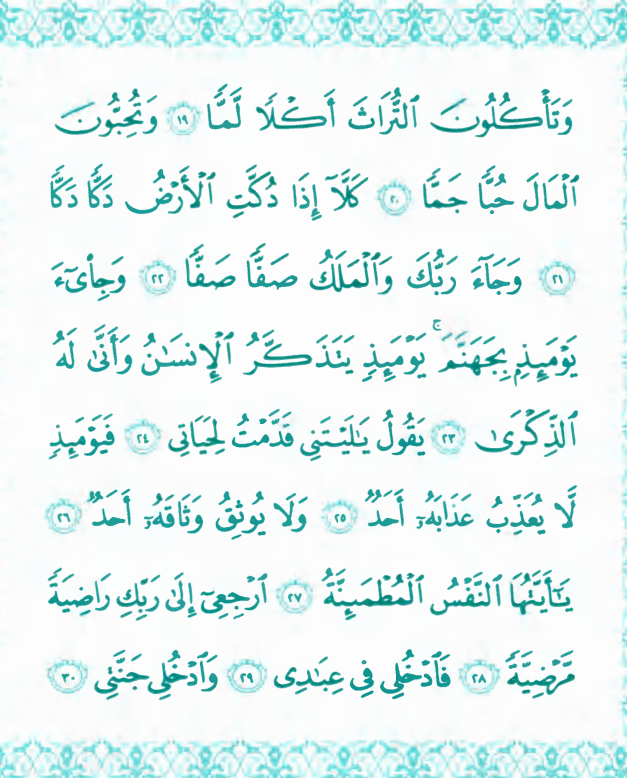


سورة الفجر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡفَجۡرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ﴿٥﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾





وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ
ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا
﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ
يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ
ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ
لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾
يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً
مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

علّمتني سورة الفجر: أنّ غالب صور الفساد التي تجري في المجتمعات تستمدُّ تصوراتها من أمراضٍ ثلاثة (القوّة، والسلطان، والمال) وما يجري من بغيٍ وطغيانٍ في حياة الأفراد فضلاً عن الجماعات والأمم إنّما هو أثر لتلك الأمراض! وشواهد هذا المعنى كثيرة



ومتعدّدة في التاريخ الماضي والحاضر على حدٍّ سواء، ومن تأمل التاريخ، وقرأ الوحي وجد أنّ كلّ طغيان من الأفراد أو الجماعات سببه وموقد فَتِيل الفوضى فيه هي هذه القوى الثلاث، وما قصّة أقوام الكفر التي جاءت في كتاب الله تعالى من الأمم السابقة إلّا بعضاً من ذلك، وقد قال الله تعالى في معرض ذكر عاد: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وفرعون قال في معرض الاستبداد: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ متكئاً على تلك القوى التي أمدّه الله تعالى بها، وقارون حين كثرت خزائنه قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] وما زالت بهم حتى جعلتهم عِظَة وذكرى للمعتبرين! ومن فقهك أن تعرف أثر نعم الله تعالى عليك، وتستثمر كلّ ما آتاك الله تعالى في عبادته، ونصر دينه ومنهجه، ثم لا يفُتْكَ أن تنقّب عن أمراضك وأخطائك ودخائل نفسك، وتحرص على علاجها حتى لا تتفشّى مع الأيام، وتكون عقبة في طريق فلاحك في الدارين.





وتعلّمت منها: أنّ لله تعالى عادة مطّردة لا تتخلّف وسنّة إلٰهية لا تتأخر، وهي أنّه تعالى يُمهل كلّ معارضٍ، ويمدّ له في الأمد، ولا يعاجله بالعقوبة حتى إذا ما أخذ حظّه من العبرة والذكرى ورفض أن يلوي عنقه للحق أخذه أخذ عزيزٍ مقتدرٍ، وجعله عبرةً وذكرى للعالمين، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات والأمم لا فرق. ترى ذلك في قول الله تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴾ وذلك بعد أن أخذ قوم عاد وثمود وفرعون حظّهم من الفرص، وقامت عليهم الحجّة، واستنفدت كلّ سبل الذكرى، ومع كلّ ذلك لم يبالوا ﴿ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ ﴾ فكانت عواقب السوء في النهايات ﴿ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴾ ثم قال الله تعالى محذّراً ومذكّراً ومنبّهاً أن السنّة جارية في حقّ كلّ من سار على الطريق ذاته، وصنع البدايات ذاتها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾!

وتعلّمت منها: أنّ فساد التصوّرات أسوأ ما يواجه الإنسان في حياته ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾



ظنّ هـؤلاء أنّ زيادة المال ونقصـه دليل على رضا الله تعالى أو سخطه، ومسألة التصوّرات في غاية الخطورة، ومن الوعـي أن يجهد الإنسـان في بنـاء التصوّرات الصحيحـة في حياتـه، ويحذر غاية الحذر من نشـوء أوهام لا علاقة لهـا بالحقائق في شـيء، ومن أراد أن يبني تصوّراته بصورة صحيحة، فلا يبرح الوحي (قرآناً وسنّة) وسيجد في النهاية كلّ شيء. وثمّة قضايا ضخمة في تفكير الإنسـان يدخلها الفسـاد من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، أو أصدقاء سوء، أو مواقع مشبوهة سـواء كانت في دينه، أو فقهه عن الحياة، أو تعامله مع الآخرين، أو نظرته للواقع، وكلّ هـذه الجوانب ما لم تعرض على خارطـة الوحي سـيكون صاحبها عرضة للضلال مع مرور الأيام.

وتعلّمت منها: أنّ بناء مستقبلك الكبير لا يأتي من خلال أماني، وإنّما يحتاج إلى عملٍ وجهدٍ كبيرٍ يناسـب تلك الأماني التي يتوق لها الإنسان في النهايات. لقد حكت سـورة الفجر جملةً من الأمانـي لأصحابها، ولكن بعد



الفوات! ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ وما تنفع هذه الأماني بعد الفوات! وما تصنع لصاحبها، وقد أضاع كلّ شيء! كم هي الفرص التي تعرض لإنسان في الدنيا، وقد تفوت بلا عودة؟! الشباب والفراغ والصحة والوظيفة والمكانة وبسط الرزق، وجملة من المهارات والإمكانات والطاقات التي تجري في حياة كثيرين لم تستوعب بشكل أمثل، وربما تفوت على إنسان، وكان مؤهلاً من خلالها لصناعة كلّ شيء. بل الحياة في ذاتها فرصة ضخمة لصناعة آمال الآخرة بأوسع ما يكون.



سورة البلد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾
وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾
أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ
مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل
لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ
ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا
ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ
﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ
كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ
﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾



علّمتني سورة البلد: أنّ جنس الإنسان مخلوق في كبدٍ وعناءٍ ومشقّةٍ وسيظلّ هذا المعنى ملازماً له ما بقيت الحياة، وهذا القَسَم من ربّك بمخلوقاته ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ دليل على تقرير هذه القضية ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾! ومعرفة هذا المعنى مفضٍ بصاحبه إلى الراحة والطمأنينة والاستقرار، وكم من متحسّر على واقعه يحسب أنّ غيره في لذائذ لا ينفكّ عنها، وفاته أنّ هذا الأصل يجري في حياة كلّ إنسان بحسبه. مشكلة كثيرين اليوم أنّه يفوتهم هذا الوعي الذي تقرّره السورة، ويفوتهم بذلك كثير من الاستقرار والطمأنينة حين يرون بأنّ غيرهم يعيش في أحلامه، ويجري في فلك سعادته، وليس لديه ما يواجهه من شقاء هذه الحياة، وهم يعيشون في نكباتها ويجدون من مضّها وألمها ما يجدون! ومن كمال عقلك ووعيك إذا فقهت هذا المعنى أن تخلّي بينك وبين قلبك، وأن ترى الحياة من هذا المنظار، وتفرح بكلّ ما تجده في عرض الطريق، وتحمد الله تعالى على ما آتاك، وتعلم يقيناً أنّ الله تعالى حجب عنك ما فيه مضرّة عليك أو ليس من مصلحتك،



وحالك بدونه أفضل وأجمل وأسلم لك في العواقب مع الأيام، وما يجري في واقعك سيأخذ مداه من واقع الآخرين لا فرق، وحسبك أن تخلي بين قلبك وبين أفراحه، وتفتح له نافذة على كلّ نعمة تستحقّ الشكر، ولا نظلّ نسارق الآخرين نعمهم، فنموت ألف مرة، وقد كان يمكننا الحياة.

وتعلّمت منها: خطر الأوهام في حياة الناس، وأنّها قاعدة كثير من الأخطاء والإخفاقات التي يواجهها الإنسان في حياته كصورة هذا الذي يسيء في حقّ ربّه تبارك وتعالى، ويظنّ أنّه في منأى عن ربه، وبمعزلٍ عن رقابته، فيجري في فلك الحياة كما يشاء ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ ﴾ بلغت به الأوهام للدرجة التي يفضي فيها إلى محارم الله تعالى، ويظنّ أنه لا رقيب ولا حسيب على ما يفعله، بل لا قدرة لله تعالى عليه، ويعبث بأمواله في معاصي ربّه، ويظنّ وهماً كذلك أنه يتصرّف بعيداً عن علم الله تعالى ورقابته، وفاته أنّ الله تعالى يرى كلّ



شــيء، ويرصد له كلّ حركة، ولا يتخلّف عن علم الله تعالى في شــيء، ولكن يُجري عليه الســنن، وهو في غفلةٍ من شأنه. كم من إنسان يعارض حكم الله تعالى، ويقف في وجه دينه ومنهجه، وتتأخّر عقوبته، ويظنّ أنه في الطريق الصحيح، وقد أوشك على الهلاك! وكم من إنسانٍ يتخلّف عن واجباته الكبرى، ويسيطر عليه وهم بأن الأمر في ذلك بســيط، ولا يتطلّب هذا القلق، وقد شــارف على الضياع! فضلاً عن كثيرين تجري الأوهام في حياتهم في كلّ شــيء، ويظنّون أنّهم على الحقائق في كلّ شيء.

وتعلّمت منها: أنّ نعــم الله تعالى على الإنســان كثيرة ومتنوعة، وهي أحوج ما تكون إلى شــكرٍ وإجلالٍ ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨] ولو لم يكن من ذلــك إلّا هذا البصر الذي ترى به كلّ شــيء، وكم من أعمى يضيع في الطريق ألف مرة، ويشــتهي أن



يرى ولو للحظة! فضلاً عن هذا اللسان الذي يفصح به عن شهواته وملذّاته واحتياجاته في الحياة، وكم من أعجميٍّ يحتاج إلى زمنٍ ليوصل لك رسالة، ويبيّن لك عن حاجة وقد لا ينجح في شيءٍ من ذلك ويعود، وقد جرى في قلبه ألف أسى! إنّ من فقه صاحب النعمة، وكمال وعيه أن يتعرّف على هذه النعم، ويجهد في توظيفها التوظيف الأمثل، ويتقوّى بها على طاعة الله تعالى، ويحذر غاية الحذر أن تكون جزءاً من ظلام أو عوناً على رذيلة في يوم من الأيام.

وتعلّمت منها: أنّ التكاتف والتعاضد والتناصر والتحاضّ على فضائل الأمور مطلوب لا سيّما في المجتمعات الناهضة ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ وفي الحديث قال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**» أخرجه البخاري، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى. وقال ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى**» متفق عليه، وهذه المعاني من فروض الكفايات التي



لا يجوز للأمة تركها البتة. وحضارة الأمة مرهونة بالتعاون في مثل هذه الجوانب وسدّ فقر هذه الفئات، وإعانتها على الحياة الكريمة، والتعاضد معها، والتناصر حتى تستغني بذاتها يوماً من الدهر.





سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾



علّمتني سورة الشمس: أنّ النجاح والإخفاق مسؤوليتك الشخصية، وقد خلق الله تعالى الإنسان وزوّده بكافة الطاقات والقدرات والإمكانات، وألهمه كلّ شيءٍ ومكّنه من طريق الخير والشر، وجعل له القرار في كلّ ذلك كما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ وهو ذاته الذي يختار طريقه بنفسه، ويقرّر ما يريد أن يكون في النهاية، وقد بعث الله تعالى له أعظم رسله، وأنزل عليه أعظم كتبه، وهذا المعنى كافٍ ببعث روح الأمل في حياتك، فليس بينك وبين أمانيك سوى القرار. جزء من مشكلاتنا اليوم أنّنا نعاني أزمة ثقة في ما ملّكنا الله تعالى من قدرات ومهارات وقرارات ونظلّ نشكّك في كلّ هذه المعطيات، ولدينا قناعات تأصّلت من زمنٍ أنّ النجاح محدود، والبيئات لا تساعد على ذلك النجاح، وستظلّ كلّ الأماني التي نرقبها مجرّد أوهام لا واقع لها مع الأيام، ومن تأمّل هذا المعنى الكبير في هذه السورة ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ أدرك أنّه مسؤول عن كل قرار يتخذه، وكلّ تصرّف يتصرّفه، وكلّ حركة يفعلها لأنه يملك كلّ شيء.



وتعلّمت منها: أنّ الفلاح كلّ الفلاح في طاعة الله تعالى، وأنّ من أقبل على ربّه تعالى صادقاً ألقى الله تعالى في قلبه الحياة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾ وأنّ هذه الدنيا دار اختبار وامتحان، والفائز فيها من أدرك ما ينتظره من أفراح وأحداث في تلك الدار، وقام لذلك بكلّ شيء، وهذا الفلاح الذي تشير إليه الآية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾ صناعة شخصية في مقدور كل إنسان، وليس دونه شيء. فآمن أنّك قادر على صناعة واقعك، وكن في مستوى الحدث، وتذكّر بلال الحبشي الفقير المسكين الذي يشهد له النبي ﷺ بأنّه سمع قرع نعاله في الجنان، وهو ما زال على ظهر الأرض، ومثله تلك المرأة التي اشتاقت للجنان، فرضيت بالمرض، وبقيت تعيش الصرع طول تلك الفترة التي عاشتها في انتظار تلك الأمنية الكبرى «**وإن شئتِ صبرت ولك الجنة**» وابن أم مكتوم رضي الله عنه عاتب الله تعالى فيه رسولَه ﷺ لمجرّد أنه عبس في وجهه، وهو لم يره أصلاً، فأفق قبل فوات الفرص، وتذكّر أنّه ليس في مقابل ذلك إلّا الفشل والحرمان والضياع ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ خاب في الدارين، فلا هو



الذي حصّل شيئاً يسعده، ولا هو الذي وجد شيئاً يستحق الفرح في آخرته.

وتعلّمت منها: أنّ العيش للأفكار الناهضة والمشاريع الضخمة، والقضايا الكبرى لا تصلح إلّا لأمثالك، ومن الغبن أن تعيش في مساحة ما ثم لا تكتب فيها حدثاً، ولا تشعل فيها فتيلاً يبدّد الظلام، ولا تصنع فيها ربيعاً مورقاً مع الأيام. تعرض لك سورة الشمس قصّة ذلك المشؤوم الذي حمل فكرة باطلة، وتحمّل أعباء مشروع الضلال، وناضل من أجل الخذلان ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾ وهو قدّار بن سالف الذي أبى إلّا أن يكون مسؤولاً أوّلاً عن الضياع، وتجري على ظهره أثقال العدوان إلى يوم القيامة! أفيكون هذا المشؤوم أقدر منك على حمل الفكرة، وتحمّل تبعات المشروع، والنضال من أجل قضاياه التي يؤمن بها، وأنت على الطريق، وصاحب المنهج، وأولى بصناعة شجون النجاح وأنت ما زلت واقفاً متردّداً! إنّ من الفقه وكمال الوعي أن يعي الإنسان دوره، ويهيّئ نفسه، ويتأهّل لصناعة مستقبله من



خــلال تبنّي الأفكار الجــادّة والمبــادرات الكبيرة التي يصنع بها لنفسه النجاح في الدارين. وقل مثل ذلك في المجتمعات التــي يجب أن تتآزر علــى الفضيلة وتقوم بدورها الكبير في الإصلاح، وتشــارك فــي مدّ أحداث الفضيلة في واقعها، ومن الغبن أن تعي ثمود دور التعاون في الظلم والعــدوان ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١﴾ ولا يعي مجتمع مــن مجتمعات المســلمين دوره الكبير في بناء الإصلاح والفضيلة.



وتعلّمت منها: خطر الذنوب على صاحبها، فإنّها ما زالت بقبيلة ثمود حتى حلّ عليهم غضب الله تعالى وســخطه ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤﴾ وردّ ســبب ذلك العذاب إلى ذنوبهم، وأنّه هــو وراء ما حصل لهم من نهايات الســوء نعوذ بــالله من الخــذلان. وكم من معصية أضاعت مشروع صاحبها! وكم من معصيةٍ ألقت في بيت صاحبها الخلاف والنزاع والفوضى بعد أن كان يعيش نعيــم الحياة! وكم مــن معصيةٍ أفلــس صاحبها بســببها، وأصبح ينوء بالديون بعد العافية منها! وآثارها



أكبر من ذلك بكثير غيـر أنّ غبارها لا يثـور من ذلك الحين، وقد تتحسّس أثرها، فلا ترى له واقعاً، وإذا به مع الأيام يسرق منك كلّ شيءٍ حتى تحلّ بك النكبات بعد نسيان. والله المستعان! فلا يغرّك تأخّر عواقب الذنب، فكم من متأخرٍ جاء بأسوأ العواقب والنكبات!





سورة الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾



علّمتني سورة الليل: أنّ اختلاف النتائج في الدارين وقفٌ على اختلاف العمل ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ كم هم الذين يدركون هذه الحقيقة! وكم هم الذين يتفاعلون معها! وعلى قدر هذا العمل ستكون نتائج الختام، ولهذا المعنى تجد في كتاب الله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾، و﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾، و﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وفي البخاري: أنّ النبي ﷺ قال: «**إنّ أهل الجنة يتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما يتراؤون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق إلى المغرب لتفاضل ما بينهم**» قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين**» ومن هذا الباب كانت تلك الأجيال التي عاشت مع رسول الله ﷺ تستشعر هذا المعنى، وتبذل في سبيله كلّ ممكن، حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: وهل على أحدٍ من حرج أن يدخل من أبواب الجنة الثمانية كلّها؟ فقال ﷺ: «**لا، وأرجو يا أبا بكر أن تُدعى من أبواب الجنة الثمانية كلّها**»، واهتزّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ وعمره في الإسلام ست سنوات، وأنفق عثمان رضي الله عنه ماله حتى قال له رسول الله ﷺ: «**ما ضرّ**



عثمان ما عمل بعد اليوم» فكن واعياً بقدر زمانك، وإن استطعت ألّا يسـبقك أحدٌ إلى الجنة، فافعل، فإنّها والله هي الأماني.

وتعلّمت منها: أنّ نجاح الإنسان وتحقيق آماله وقفٌ على الخطوة الأولى في حياتـه. ومثل ذلك إخفاقه وفشـله وقف على المعنى ذاته، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ فهذا الذي بذل وبادر وقام إلى صناعة واقعه متفائـلاً كانـت النهاية لـه ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ اليسـرى في قلبه ومشاعره، واليسـرى في بيته وزوجه وولده، واليسرى في عمله وفكرته ومشروعه، واليسرى في ماله وراتبه، واليسرى في كلّ شيءٍ من حياته. والآخر الذي رفض فكرة الخطـوة الأولى، وقعـد ينتظر غيث السماء دون جهد وعناء حكى الله تعالى واقعه وبيّن حاله ونهايته ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ فالنتيجة التي تنتظـره ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ العسـرى فـي قلبه ومشاعره، والعسـرى في بيته وزوجه وولده، والعسرى في عمله وفكرته ومشـروعه، والعسرى في ماله وراتبه،



والعسرى في كلّ شـــيءٍ من حياته. والدرس الكبير أنّك أنت من تصنع ربيع أيامك، وأنت فـــي الوقت ذاته من يقف دون تلك الأماني الكبار. وكـــم من خطوة فتحت أبواباً للأمل! وصنعت فألاً فـــي الحياة! وكم من خطوة بدّدت نعماً، وأثارت مشكلات، وصنعت واقعاً بئيساً في حياة صاحبها زمناً من الدهر!



وتعلّمت منها: أنّ من فقه الإنسان وكمال وعيه أن تكون قدراته وطاقاته ومهاراته وإمكاناته في سبيل دينه ومنهجه وعقيدته، وما لم يكن في ذلك الطريق، فهو دليل شقاء صاحبه وضياعه فـــي الدارين ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ وما يصنع لك عقلك وفكرك ومالك ومهارتك وقدراتك إذا لم تكـــن في الطريق إلى الله تعالـــى! كان هذا يملك مالاً، ولكنّه عاش شـــحيحاً به، فلا يصنع له يوم القيامة موقعاً، ولا يدفع عنه في تلك المواقف شيئاً. كم من مال وقدرات ومهـــارات وإمكانـــات كانت الحيـــاة الكبرى لصاحبها! وكم من مال وقدرات ومهارات وإمكانات في المقابل كانت ضياعـــاً وفوضى في حياة آخر كذلك! كم



هي عوائد الوعي على أبي بكر! وعوائد المال على عثمان! وعوائد العلم على معاذ! وعوائد كتاب الله تعالى على أُبيّ! وكم هي في المقابل عوائد المسؤولية والمال على أبي جهل وأبي لهب وآخرين ذهبوا رغم كل ما يملكون حطباً للنار، والله المستعان! تعرّف على ما تملك من ثروات ضخمة، ثم ابلغ جهدك في بناء صرحك بها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، والله يتولّانا وإياك في الدارين.



وتعلّمت منها: أنّ الإخلاص لله تعالى أعظم الأعمال بل هو لبّها وروحها وأثرها في الدارين! وهذا الثناء العاطر على أبي بكر الصديق رضي الله عنه والذي حوّل ماله وكلّ شيءٍ من حياته لصالح دينه ومنهجه لا يبتغي بذلك ثناءً من أحد من العالمين ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ وتأتي النهايات بهذه النتائج الضخمة ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] ومن أراد الله تعالى خالصاً جرت له أحداث الحياة كما يشاء. وشأن



الإخلاص عظيم، والريـــاء أخطر الأمراض وأضرّها على عملك فـــي الدارين، وفي الحديث أنّ أول ثلاثة تسـعّر بهم نـــار جهنم يوم القيامـــة (مجاهد، وحافـظٌ للقرآن، ومتصدّق)، وكلّ ذلك لأنهم أرادوا بهذه الأعمال عاجل الحيـــاة، وفاتهم رجـــاء ما عند الله تعالـــى. ومن فقهك وكمال وعيك أن تتخلّص من شـــوائب دنياك، وأن تقبل على الله تعالى في عملك، وألّا ترجو أحداً من العالمين في شيءٍ، ويجب ألّا يذهب عملك هباءً، فهو أثمن من أن يذهب سدىً لعارض الرياء.





سورة الضحى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١

علّمتني سورة الضحى: حبّ الله تعالى لنبيه ﷺ ورعايته له، ترى ذلك من خلال هذه السورة الخالصة له ﷺ يخبره الله تعالى فيها بأنه يرعى مشاعره ﷺ، ويواجه الباطل عنه، ويذود عنه أعداءه من حوله، ويسلّيه بما أعدّ الله تعالى له في الدارين ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا



وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ وهـي دعـوة لـكلّ مؤمنٍ أن يسلك الطريق ذاته ليلقى في النهاية النعيم ذاته، وتجري عليه الأحداث ذاتها. إنّ حاجة الإنسان إلى ربّه فوق كلّ حاجة، ولكنّ بلوغ آماله من تلك الحاجة لا يأتي بالأماني، وإنّما تحتاج إلى جهدٍ وعناء حتى تبلغ بصاحبها إلى أمانيه، وقد أبانت السورة كيف أنّ الله تعالى إذا رضي عن إنسانٍ أعطاه! وإذا أعطاه أدهشه بذلك العطاء!

وتعلّمت منها: أنّ الردّ على الأقاويل الباطلة والحجج الواهية والمقالات الكاذبة جزء من منهج القرآن.

لقد تولّى الله تعالى دحض حجج المكذّبين الضالين والمفترين على نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ وذلك حين اشتكى ﷺ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت يا محمد: إنّي لأرجو أنّ شيطانك تركك، لم أره قربَك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فسلّاه الله تعالى



بهذه السورة التي سَلّت كل عناء وألم من قلبه وألقت به للأفراح، ولا يقوم الحق في مرّات كثيرة إلّا على دحض شبه أهل الباطل وتقويضها من الأصل وردمها على هامة صاحبها! ونحن في زمن انتشـــرت فيه الشبه وكلام أهل الباطل والأوهام، ويحاول العـــدو جاهداً هدم تصورات الحق وإبدالهـــا بتصورات الباطـــل، والحاجة ملحّة إلى طلاب علـــمٍ ينقضون تلـــك الحجج، ويبنون للإســـلام عروش المجد من خلال ذلك على ألّا تكون هي الأصل أو تأخذ أكبر من حجمها، وألّا ينشـــغل بها الإنسان عن إدارة أولوياته في الحياة.

وتعلّمـت منهـا: أنّ مـــن وعي المؤمن تذكّـــر الماضي والاستفادة من توظيفه في مســـتقبل الأيام، حين امتنّ الله تعالى على نبيّه ﷺ بقوله: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ ذكّره بما مـــنّ الله تعالى عليه في ســـالف دهره، وأوّل أيامه بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾ وهـــذا المعنى مهمٌّ ومؤثّـــر في بنـــاء الإنســـان لذاته وعنايتـــه ببناء



مســتقبله، كأنه يقول له: لقد عشــت هــذه المعاني، وجرت في أيّامك الأول، ومن فقهــك أن تبقى على خاطرك، فــإنّ ذلك أبلغ في تحقيق رســالتك، وبلوغ آمالك مع الآخرين، وكان كذلك ﷺ في تعامله مع كلّ هؤلاء دون اســتثناء. وكلّ إنسانٍ مســؤول عن تذكّر الماضي بالدرجــة التي توقظه لبناء مســتقبله لا التي تعيقه وتسهم في تخلّفه مع الأيام.



وتعلّمت منها: أنّ الحديــث عن نعم الله تعالى من باب الشــكر كمال وعي، فلقــد أمر الله تعالــى نبيه ﷺ أن يحدّث بنعمــه عليه من باب الشــكر وإجــلال النعم والقيام بحقها وتوظيفها التوظيــف الأمثل في حياته، وليس من باب الامتنان الشــخصي لذاتــه، وهذا فقه وكمال وعي، وكلما أفضى بــك الحديث عن نعم الله تعالى إلى إجلالها وتعظيمها وعدم نســيانها، ورُزقت خشــيةً وإخباتاً وصدقــاً مع ربّك تعالــى كانت أدعى لتدلّي الثمار قبل أوانها، وتحذر في المقابل أن تجري على لسانك صورة وشكلاً وقلبك منطوٍ على أنّ ذلك



دليل قدرتك وتفوقك وتميّزك علــى من حولك، فإنَّ ذلك باب سوء مثلك أوعى أن يجري بك الشيطان في فلكه يوماً ما، وإيّــاك والمهلكات الثــلاث (أنا، لي، عندي) فإنّها ميراث الشياطين.





سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

علّمتني سورة الشرح: عناية الله تعالى برسوله ﷺ، وترى ذلك من خلال شرحه لصدره، ووضع أوزاره عنه، ورفع ذكره ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ وماذا بقي له ﷺ بعد هذا اللطف والرعاية والإكرام التي لقيها ﷺ من ربّه تبارك وتعالى، فالله تعالى إذا أعطى أدهش! وإذا رضي عن إنسان أعطاه كلّ شيء! وفتح له أبواباً من النعيم لا تغلق مدى الحياة! ومن أراد هذه المعاني، فليحسن صلته بالله



تعالى، وليصدق في الطريق إليه، وليحسن الإقبال عليه، وستجري عليه المعاني ذاتها، وسيجد حياة ما كانت له على بالٍ! ليس بين الله تعالى وبين خلقه نسب، وهذه المنح تجري لكلّ إنسانٍ على قدر صدقه مع ربّه تعالى وقيامه بحظوظ العمل، وقد كان يصلي ﷺ حتى تتورّم قدماه من طول القيام، وتنصحه عائشة رضي الله عنها فيقول: «**أفلا أكون عبداً شكوراً!**» وكان يصوم حتى يقال لا يفطر، وكان أجود ما يكون بوقته وماله وفكره وحياته كلّها في سبيل الله تعالى، ومن سار على الطريق ذاته وصل في يوم من هذا الدهر.

وتعلّمت منها: أنّ للذنوب أثقال وأحمال! فمن جملة المنن التي امتن الله تعالى بها على عبده ورسوله محمد ﷺ أن وضع عنه ذنوبه، وخفّف عنه أثقالها، وألقى عنه أحمالها ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ ومن المعلوم أنّ الأنبياء معصومون من الكبائر والخيانة، وتقع منهم صغائر الذنوب أو خلاف الأولى، ومع ذلك أخبر الله تعالى أنّها كانت كالأثقال على



ظهره ﷺ، فكيف بأصحاب الكبائــر! ومن هذا المعنى قال الحسن لمن ســأله عن رغبته في قيام الليل، وعدم قدرته على ذلك قال: قوم كبلتهم معاصيهم عن طاعة الله تعالى. اهـ. كم من محرومٍ من صلاة الجماعة لا يستطيع النهوض من فراشــه! وكم من سامعٍ لأحداث القرآن في حياة كثيرين، ولا يســتطيع أن يمدّ يــده إليه! وكم ممّن يملك مالاً ولكنه يقف مغلول اليد عن الإنفاق! وكم من إنســانٍ تتقطع نفســه حســرات على كثير من الأعمال الصالحة، ويموت ألف مرّة دونها. ومن الفقه والوعي إذا رأيت من نفســك تأخراً عــن طاعة، وثقــلاً عن خير، وتباطؤاً في صالح من الأعمال، فأدرك نفسك، فإنّما هذه صناعة المعاصي ألقت بأحمالها على قلبك حتى أبقتك محروماً من كلّ شيء.

وتعلّمت منها: أنّ كلّ عسرٍ مقابل بيسرين، يسرٌ قبله، ويسرٌ بعده، ذلك أنّ الله تعالى ذكر العسر مُعرّفاً مرتين، فهو عسر واحد لا ثاني له، وذكر اليســر منكّراً مرتين، فهما يسران، ولــن يغلــب عســر يســرين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ



يُسۡرٗا ﴿٦﴾ فما ضاقت أزمة إلّا انفرجت، وما حلّت ظلمة إلّا زالت، وما حدث كــرب إلّا فُرج، وإنّما هي أيام ثم تحين مواعيد الفرح من جديد. كــم لقي النبي ﷺ وأصحابه في مكة من تعذيب وطرد وحصار وأيــام بؤس، انجلت كلّها في لحظة من لحظــات غزوة بدر، وجــاء الفجر بعد ليلٍ طويلٍ! وكم هي أفــراح بدرٍ مقارنة بأفــراح فتح مكة في النهايات ودخول الناس في دين الله تعالى أفواجاً! وكم هو الفــرق بين أيام الهجــرة التي خرج فيها مــن مكة طريداً شــريداً مُتَابعاً، وبين اللحظة التي دخل فيها مكة منتصراً مغموراً بالأفراح! ولو أنّ بعضنــا نظر لظروفه وأيامه التي مرّت لوجد هذه الحقائق رأي عيــن. كم من ضالٍ اهتدى بعد طول أمد من العناد والفوضى! وكم من مديون أصبح تاجراً بعد طول انتظار! وكم من غربةٍ أفضت بصاحبها إلى لقاء الأفراح بعد سنين! وما حلّ كرب ولا ضيق ولا عسر بإنسان إلّا كان على موعد مع الحياة.

وتعلّمــت منهــا: أنّ الصلة بالله تعالــى والإقبال عليه من أعظم ما تعين صاحبها على تكاليف الحياة. إذا واجهتك



الفتن، وضاقت عليك الظروف، وقلّ المعين، ولم تجد من يأخذ بيدك، فتوجّه إلى ربك تعالى، وأحسن صلتك به، ومدّ يدك إليه وكرّر (يا رب)، وستأتي على كلّ أمانيك، وإن طال زمان ذلك الانتظار، ألا ترى أنّ الله تعالى أشار إلى نبيّه ﷺ بهذا المعنى الكبير، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾! لنتعلم في كلّ مرة أنّ طاعتنا لله تعالى، وإقبالنا إليه، وإصلاح واقعنا معه سبحانه هو الطريق الأوسع لأفراحنا في مستقبل الأيام. ومن أصلح ما بينه وبين الله تعالى أصلح الله تعالى ما بينه وبين العالمين قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] حياة طيبة في قلبه ومشاعره وبيته وعمله ومشروعه، وكلّ شيءٍ في حياته، ولا طريق إلى هذا المعنى الكبير إلّا من طريق الله تعالى وما عداه فضياع.





سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

علّمتني سورة التين: عناية الله تعالى بالإنسان وإبداعه لخلقه وتكريمه له، وهذا القَسَم بأماكن الرسالات ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ فالقَسَم بالتين والزيتون قَسَم بأرض فلسطين مكان إنباته، وهي الأرض التي بُعث فيها عيسى عليه السلام، والطور طور سيناء الذي ناجى الله تعالى عنده كليمه ونبيّه ورسوله



موسى عليه السلام، والبلد الأمين مكة التي بعث فيها نبيّنا صلى الله عليه وسلم. وهذا دليل على التكريم الكبيـــر، وقد جعلك الله تعالى مناط الرســـالات كلّها، وكرّمك بالعقـــل، وبعث إليك رسله، وأنزل إليك كتبه، كلّ ذلك لتحقيق الخلافة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾ [البقـرة: ٣٠] واســـتعمار الأرض والقيام بحضارتها ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] فانظر لنفسك أين أنت من هذه المعانـــي الكبار! وما دورك في تحقيق الخلافة التي تقوم بها بعد أبيك آدم عليه السلام. وكلّ إنســـان سيرد على ربّه تعالى، وكلّ الأســـئلة التي تتعلّق بنجاته وفوزه وتكريمه بالنعيم وقف على هذه المعاني العظيمة في الحياة.

وتعلّمت منهـا: أنّ الشباب سيعود إلى كبر، والصحّة إلى مرض، والقوّة إلى ضعف، والحيـــاة إلى موت، والفراغ إلى شـــغل، والممكن إلى غيـــر ممكن ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ وهـــذه المعاني موجبة لاســـتثمار الإنســـان لحياته وصحّته وشبابه وأوقاته قبل فواتها. كم مرّة رأيت مُســـنّاً يتوكأ على عصاه بعد أن كان يجوب الأرض كما



يشاء! وكم مرّة رأيت شيخاً لا يستطيع أن يسقي نفسه شربة ماء، وهو إلى جانبه فضلاً على أن يقوم بمصالحه الأخرى بعد أن كان عوناً في ملمّات مجتمعه ورأساً في تفريجها! وهذه الصور يراها الإنسان في كلّ لحظة من حياته، وأقرب ما تكون إليه في بيته أو مجتمعه وهو أحوج ما يكون فيها للذكرى. ومن الفقه وكمال الوعي أن يستدرك الإنسان أيام شبابه وصحّته وقوّته وفراغه، ويبعث فيها الحياة، وليكن في فكره في كلّ لحظةٍ قول نبيه ﷺ: «**إذا سافر العبد أو مرض كُتب له من العمل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً**» رواه البخاري.

وتعلّمت منها: أنّ ثمّة غاية كبرى للخلق، وسرّ ضخم لوجودهم في الحياة، وكلّ مخلوق جاء لغاية، وهو مسؤول عن تحقيقها قبل رحيله من الدنيا، ولذا تناقشه هذه السورة وتسائله وتذكره ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾! ما الذي يحملك على إنكار البعث والجزاء، وقد رأيت الحقائق رأي عين! ثم يدلّه الله تعالى، ويلفت نظره إلى قضية أخرى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾! فإنّ هذا



الخلق البديع في الكون، وتلك المعالم المدهشة في كلّ زاوية من زوايا الدنيا كلّها تدلّ على كمال علمه وحكمته ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ ومن أرخى لعقله التفكر في هذا الكون الفسيح دلّه على الله تعالى من أقرب طريق، وقد قال الأعرابي: إنّ البعرة تدلّ على البعير، وإنّ الأثر يدلّ على المسير، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات أتراب إنّها لتدلّ على اللطيف الخبير! ولو أنّ كلّ عاقل أقبل على فقه شريعته لرأى فيها من التجانس والإبداع ما أفاض عليه إجلال ربّه تعالى، وتقديس شعائره، وتعظيم أمره، وقيامه بحقوقه في كلّ شيء. وكم من قليل عقل رقيق دقيق يعترض اليوم على شريعة الله تعالى ومنهجه، ويصفه بأنّه لا يلبّي حاجة الناس، ولا يتماشى مع حضارة الأمة، ويقف في وجه التنمية، ويعترض على جملة من أحكامه تعالى وهو العليّ العظيم! ولو سلم قلبه وعقله وأنصف لأخذته الدهشة في كل شيءٍ، ولكنّه الخذلان!





سورة العلق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ
عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ
﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ
لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ
﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾
أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾
أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾
كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ
خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ
﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾



علّمتني سورة العلق: أنّ العلم من أعظم المنن على الإنسان في حياته، ويؤتى من حظوظ الحياة على قدر حظوظه من العلم، ولو لم يكن في شأن العلم إلّا أنّه أول كلمة في كتاب الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ لكان كافياً! لقد امتنّ الله تعالى على الإنسان بتعليمه الكتابة بالقلم قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ وحياة الواحد منّا وقف على هذا المعنى الكبير! حين نقرّر أن نقرأ، ونتعلّم، فنحن نقرّر أن نحيا حياة مدهشة من خلال خلق تلك العادة في واقعنا، وإذا بدأ الإنسان بالوحي كتاباً وسنّة، بدأ سلم الحياة من أوله وأصله وحقيقته، وتعرّف على ربّه تعالى، وعرف واجباته، وقام بحقوقه، وأجَلّ شريعته، وتعرّف كذلك على رسوله ﷺ معرفة تدفعه للعمل والحياة والبناء، وعرف كيف يأتي على آماله من خلال هذه المعاني في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ. وكلّ فرد وأسرة ومجتمع ودولة وأمة يجب أن تضع قضية العلم في سُلّم أولوياتها وأهم قضاياها لأنّ الوجه المقابل للتعليم هو الجهل والأمية والظلام والأوهام والفوضى والضياع.



وتعلّمت منها: أنّ اعتداد الإنسان بنفسه وإعجابه بقدراته ومهاراتــه وطاقاتــه وإمكاناته من أســوأ ما يواجهه في حياته. فهــذا الشــقي الضــال (أبو جهل) إنّمــا واجه رسول الله ﷺ، وكان خصم الدعوة في ذلك الحين وألدّ أعدائهــا وخصومها طيلة حياته أثر مــن تلك الأمراض التي أصابت قلبه حتــى تصوّر أنّه صاحــب القرار في أرض الله تعالى، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾، ومن الوعي أن يتعرّف كلّ فرد على شخصيته، وأن يبني منظومة أفكاره ومفاهيمه من خلال الوحي، ويتعرّف في المقابل على أمراض قلبه معرفة دقيقة، ثم يجهد في علاجها حتى يسلم من آثارها في مســتقبل الأيام. وكم هــي الأمراض التــي تواجه الإنســان اليوم وتقف عائقاً في وجه حضارته وتقدّمه، وســدّاً منيعاً أمام بناء مســتقبله، وهو أحــوج ما يكون لعلاجها في أقرب الأوقات وأعجلها إليه، وكلّ إنســانٍ فقيه بحاله، وأعرف بأمراضه، وأقدر على إصلاح نفسه قبل فوات الأوان.





وتعلّمت منها: سنّة الله تعالى في المكذّبين الضالين المعارضين لدينه ومنهجه، وهذه السنّة لم تتخلّف على مرّ التاريخ، وقد جرت على الأمم والأفراد والمجتمعات على حدٍّ سواء، وقد قصّ الله تعالى في كتابه ما جرى للأفراد كفرعون وقارون وهامان، وما جرى للأمم كقوم نوح وعاد وثمود كدليل شاهد على هذا المعنى الكبير.

وهو درس لكلّ معارضٍ لمنهج الله تعالى أنّ خصمه ربّه تعالى، وهو الذي سيتولّى ردعه وجزاءه عاجلاً أو آجلاً، فلا يغرّه إمهال الله تعالى له وإمداده بالقوة والجاه والسلطان والمال، فإنّ لكلّ ذلك أجل ينتهي فيه، ثم يحين موعد الجزاء ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ يقول الله تعالى: إن لم ينته هذا الشقي عن فعله سنأخذه مجذوباً إلى النار بمقدمة رأسه، ولن ينفعه صحبه وأعوانه في شيء.



وتعلّمت منها: أنّ حسن الصلة بالله تعالى من أعظم ما يواجَه به الباطل، وتدار به معركة الحياة، وما رزق عبد ثباتاً في دينه ومواقفه، وأُعين على إدارة مشاريعه، ووفق في صراعه



للباطل بمثل هـذا المعنى الكبير، ومن اسـتقبل الله تعالى وصنع لنفسـه أوراداً ثابتة، ولزم هذا الباب إلّا أوشـك أن يدخل معه إلى كلّ خيرٍ ونصـرٍ وتوفيقٍ. إنّ الله تعالى يوجّه نبيه ﷺ في إدارة المعركة مع المناوئين إلى أسلم الحلول، وأكثرها أثراً في إدارة المعركـة، وأقربها للنصر والتمكين، فيقول له تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ دعك منه ولا تشغل بالك به، وتوجّه إلى ربّك، وأحسن علاقتك به، فإنّ مدد العون والتوفيق والنصر سيأتيك. وهو معنى لطيف جداً يدعو الواحد منا أن يعيـد علاقته بربّه ويرتبها، ويسـتثمر أوقاته كلّها أو جلّها في بناء هذا المعنى الكبير، ولا ينصرف إلى الهوامش، فينشغل بها عن أهم الأولويات التي يجب أن يركز عليها. والناظر في حال كثير من قضايا الأمة سيرى في أيام الأزمـات بالذات جهـوداً كبيرة في تتبـع أخبار تلك المعـارك وإحصاءاتهـا كلّ يومٍ، وحين تنجلـي غبار تلك الأزمة يصحو الإنسـان، فـإذا به ضاع منه كلّ شـيءٍ. فما أحوجنا للعودة إلى الله تعالى والإقبـال عليه، وصرف كلّ أوقاتنا في هذا الطريق الذي سـتورق به أرواحنا، وتنشرح صدورنا، وتحين أيام الربيع في واقعنا إلى أقصى مدى.



سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

علّمتني سورة القدر: عظمة القرآن الكريم وبيان منزلته، ترى ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ﴾ في بداية السورة، وإسناد الإنزال إليه تعالى دليل على تفخيم شأنه، وتعظيم أمره وجلالة قدره ويكفي أنّه كلام الله تعالى، وأنّه هو المنزل له وجبريل هو الواسطة، ومحمد ﷺ هو المتلقّي، والليلة التي نزل فيها هي



ليلة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ وكتاب بهذا المعنى الكبير حقيق بالإجلال والتعظيم والتقديس! ونجاح الأفراد فضلاً عن الجماعات والدول والأمم مرهون بإقبالهم عليه قراءةً وتأمّلاً وتدبّراً، وصدورهم في النهاية عن أفكاره ومفاهيمه وتصوراته عن الحياة.

وتعلّمت منها: منزلة ليلة القدر، وعظم قدرها وشأنها عند الله تعالى، وأنّها ليلة مباركة، العمل فيها بألف شهر، وهو ما يعادل ثلاث وثمانين سنة وبضعة أشهر، وليلة هذا قدرها، وتلك منزلتها وشرفها، وهذه حقائق الحياة فيها، حرية بالإجلال، وقد بلغك أنّ النبي ﷺ كان يجلّها، فيعتكف في مسجده في العشر الأواخر، ويتحرّاها في أوتار تلك الليالي حتى قال ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» رواه البخاري، وقال ﷺ: «**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**» رواه البخاري، وأخبر عائشة رضي الله عنها حين سألته إن لقيت ليلة القدر ما تقول؟ فقال ﷺ تقولين: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» رواه أحمد والترمذي



وابن ماجه، وإذا أدركت أنّ تلك الليلة تنزل فيها الملائكة إلى الأرض، ويشـــارك جبريل، وينعتها الله تعالى بقوله ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ كانت منك على بالٍ.

وتعلّمت منها: يســـر دين الله تعالى وجماله وســـماحته، فلا يكلّف الناس فوق طاقتهم، ويرضى منهم باليســـير، وتسدّ نقصه، وتجعل له من الأعمال والأوقات ما يعينه على استثمار عمره، واســـتدراك الفارط منه بكلّ طريق ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ وهـــذا المعنـــى أوضح ما يكون في دين الله تعالى، وقد رفع الله تعالى التكليف عـــن الأمّـــة، فقـــال ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وقال ﷺ: «**عليكم من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا**» رواه مسلم، وهذه الليلة التي يمن الله تعالى بها على عبادة إنّما هي جزء من كل، ونافذة على جمال هذه الشـــريعة وأناقتها، ولـــو نظر الإنســـان متأملاً في التشـــريع لعرف كل شـــيء، ألا ترى أنّ الله تعالى قصر الأركان على خمســـة فحســـب، وجعل منها ركناً واحداً على الدوام، والصيام في العام مرّة واحدة، والحج على



حســـب الاســـتطاعة، ويراعى المريض، ويسقط عنه من التكليف بحسبه، وإذا ســـافر الإنسان كُتب له من العمل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً، ولا يؤاخذه بتصرّف خرج عن إرادته، وغير ذلك ما يدلّك على أنّها شريعة صالحة لكلِّ زمانٍ ومكان.





سورة البينة



لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾



علّمتني سورة البينة: أنّ أهل الكفر والضلال مؤمنون بدينهم ومتمسّكون بعقائدهم ومرابطون عليها، وغير زائلين عنها مهما كانت الحجج والبينات الدالة على بطلان ما هم عليه، وضلال ما هم فيه، وهذا في الأغلب الأعمّ، وإلّا ففيهم من إذا بان له الحق، وانكشف له زيف ما هو فيه من الباطل خلّفه وراء ظهره، وأقبل على الله تعالى، وصنع لنفسه موقعاً، وكتب حظّه من الإسلام ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾.. ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ وإذا كان أصحاب الباطل وعقائد الضلال يؤمنون بعقائدهم، ويستميتون في التمسّك بها، ويناضلون من أجل بقائها، ويدفعون كلّ شيءٍ من أجلها، فما شأن المسلم مع عقيدة الحق إيماناً وسلوكاً! إنّ هذه الإشارة في السورة بما عليه أهل الكفر من مبادئ تدعونا إذا أردنا دعوتهم وهدايتهم أن ندرك هذه الخلفية عنهم، وعلينا أن نصنع ما يزيل هذا الإيمان بالعقائد الباطلة من خلال حجج وبراهين ثابتة وقوية وقادرة على فكّ ذلك الارتباط، وفي المقابل هي دعوة للعودة إلى



ديننـــا وتمسّـــكنا به والنهـــوض بأفـــكاره ومفاهيمه، وتصوّراته في العالمين.

وتعلّمت منها: أنّ إجلال شعائر الله تعالى وتعظيم أمره ونهيه أعظم المقاصد على الإطلاق، وهي الأصل من وجود الإنسان في الحياة كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ وهـــذا هو الفقـــه الأكبر الـــذي ينبغـــي أن يأخـــذ حظّه مـــن قلوب ومشـــاعر المســـلمين! وفرق كبير جـــداً بين من يؤدي شـــعائر بمقتضى العادة والإلف، ومن يؤديها وهو يشـــعر أنّه يتعبّد ربّه ويجلّ أمره ويقوم بشـــأنه، ويحتسب في كل خطوة في ذلك الطريق الطويل! ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ وإذا فقهنا هذا المعنـــى الكبير أدركنا حينها أنّ دين الله تعالى يجري في كلّ شيء، وليس هو مجموعة الشعائر المرتبطة بالمســـجد فحسب، وإنّما هـــي علاقتك فـــي بيتك بزوجـــك وولـــدك، وجارك وصديقك، وبَذْلك جهـــداً وعرقاً في ســـبيل فكرتك



الناهضة ومشـــروعك الكبير، واحتساب كلّ شيءٍ في هذا الطريق الطويل.

وتعلّمت منهـا: عاقبة الضالين من أهل الكفر والشـــرك والضلال، فقد حكم الله تعالى عليهم بأنّهم أخبث خلقه تعالى، وعاقبتهم في النهاية إلى النار، عافانا الله تعالى وإياكـــم من الكفــر والضـــلال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ وهـــذه الحقيقة يجب أن تأخــذ حظّها من كلام أهل العلـــم وتقريراتهم حتى لا ينخدع أحد بدين باطل لا قيمة له في الحياة في شيء. إنّ المعركة التي تدار اليـــوم بين أهـــل الحـــق والباطل معركـــة أفكار ومفاهيم وبنـــاء تصـــوّرات، والعدو يملـــك من تلك الأدوات ما يستطيع أن يعمّم به فكرته وضلاله، فلا أقلّ من أن تعي أجيال الأمة اليوم دورها ومســـؤوليتها في هذه المعركة، وتسعى بكلّ ما يمكن من التفوّق بالحق الذي معها في مقابل تلك القوّة التي يمتلكها عدوها. ومن تأمّل زمانـــه أدرك هذه المعركـــة، وعرف قدرها



ورأى صورها في واقعه للدرجة التي بدأنا نناقش قضايا الردة والإلحاد وضياع الهوية الإسلامية لأجيال نشأت علـــى كل ذلـــك، ولكنّها بـــدأت تُجلّ وافـــد الأفكار الجديدة، وتبشّر بها في العالمين.

وتعلّمت منها: بيان عاقبة الإيمـــان والعمل الصالح على أهله في الدارين، قال تعالى عن أثر تلك العاقبة العاجلة في رحـــاب الدنيـــا: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالـــى عن عرض تلك النهايات بيـــن يدي الله تعالى يـــوم القيامة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ ومَـــنْ فَقِـــهَ هـــذا الجزاء دفع له كلّ شـــيء، وتمسّك بدينه، واستوثق منه، وأقبل عليه راغباً، وبذل في الطريق إليه كلّ ممكن، وأبى أن يتخلّى عن شيء من أحداثه في مستقبل الأيام.



سورة الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨

علّمتني سورة الزلزلة: مسؤولية الإنسان بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وإذا كانت الأرض وهي جماد ستتحدث وتخبر عن كلّ ما جرى فيها وحدث عليها من الأعمال، فإنّ ذلك موجب للعناية بتصرفات الإنسان، وضبطها قدر الوسع، وأن لا يأتي منها يوم القيامة شيء



خلاف المنهج وموجب للشهادة على صاحبها بالخسران ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ إنّ هذه الحقيقة يجب أن تأخذ حقها من قلوبنا ومشاعرنا، وتصوغ حياتنا، وإلّا دارت الأيام علينا بالخسران، ووقف الإنسان في مواقف يبحث عن الفكاك، وما كلّ لحظة صالحة للاستعتاب! ومن تخيّل هذا المشهد يوم القيامة عرف له قدره، وسعى أن يكاثر في حسناته، ويوسع في أثره وجهده، ويأتي بما يستحق الفرح في تلك اللحظات، وحذر غاية الحذر من كلّ سوءٍ يجري الحديث عنه في تلك اللحظات.

وتعلّمت منها: أنّ نجاح كلّ إنسان يوم القيامة وخسارته وقف على العمل الصالح، ومن أحسن الإقبال على الله تعالى، وصدق في الطريق إليه، ومنحه وقته وفكره وعقله وقلبه، وجهد أن تكون له أوراد ثابتة لا يتخلّف عنها البتة، صنع لنفسه حياة مدهشة في الدارين! وإذا قرأت سيرة بلال رضي الله عنه وحرصه على ركعتي الوضوء للدرجة التي سمع رسول الله ﷺ خشفة نعليه في الجنة،



وهو ما زال على قيد الحياة! واستلذّت امرأة كانت تصرع في الطرقات تعبها ومرضها في سبيل الجنان، وعاشت على ذلك حتى لقيت ما عند الله تعالى، وعمّار بن ياسر وزوجه تحمّلا القتل في بدايات الإسلام من أجل هذا المعنى الكبير بان لك كلّ شيء. وفي المقابل ذهب أبو لهب وأبو جهل وزعماء الضلالة إلى النار ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦﴾.

وتعلّمت منها: أنّ الحياة استثمار، وكم من حسنةٍ أوجبت لصاحبها الحياة! وإذا كانت مثاقيل الأعمال وصغائر الحسنات مكتوبة ومدونة وموزونة، فما بالك بالحسنات الكبار! ومن عرف هذه الحقائق جهد ألّا يدّخر شيئاً من الصالحات. إنّ الحسنة بعشر أمثالها، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض، ولا حول ولا قوّة إلا بالله كنز من كنوز الجنة، ومن قال سبحان الله غرس نخلة في الجنة، والحرف الواحد من كتاب الله تعالى بعشر حسنات إلى أضعاف كثيرة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وتبسّمك في وجه أخيك كذلك، فما



شـــأن الصلاة التي قال فيها ﷺ: «**الصلاة خير موضوع**» رواه أحمد، والصيام الذي يقول فيه ﷺ: «**من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً**» رواه البخـــاري، والصدقة التي يخبر فيهـــا ﷺ: «**إن الله يأخذ صدقة أحدكم بيمينـــه فيربيها كما يربـــي أحدكم فلوّه حتى تأتي يوم القيامة كالجبل العظيـــم**» رواه البخاري، وأن يحذر في المقابل غاية الحـــذر من مثاقيل تأتي في موازين الكبائر من الأعمال.





سورة العاديات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴿١﴾ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴿٣﴾ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ﴿١١﴾

علّمتني سورة العاديات: أنّ الإنسان بما يصنع لدينه، وما يهب من وقته وفكره وجهده لمنهجه، وما عدا ذلك فركام لحم لا قيمة له في شيء! وإذا كانت الشريعة تحتفي بالدواب، وهي عجماوات لعلاقتها بهذا الدين ومشاركتها في رعاية المنهج، وقيامها بدور في



الإصلاح، فما بالك بالإنسان الذي جاء أصلاً لتحقيق هذه الغايات ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ وهذا القسم بأصوات الخيل، وصدى حافرها في الأرض، وغاراتها في طلائع الفجر، وتوسّطهن للعدو دليل ذلك المعنى الكبير. وكلّ دابةٍ وآلةٍ إنّما تنال حظها من الثناء على قدر دعمها، ومشاركتها في دعم رسالة هذا الدين، وفي البخاري قال ﷺ: «**المنفق على الخيل في سبيل الله كالباسط يديه بالصدقة ولا يقبضها**» حتى تعلم أنّ قيمة الشيء إنّما تأتي من علاقته بهذا الدين العظيم!

وتعلّمت منها: أنّ الجهاد في سبيل الله تعالى من أعظم الأعمال، وراياته في مساحة ما من أعظم الرايات، وعزّ كلّ أمّة منوط به مع الأيام، وإذا تخلّت عنه أمة جرت عليها سنن الهزيمة، وقهر العدو، ومضت عليها عاديات الزمان، وما حاجة الأمة اليوم إلى شيءٍ في هذا المعنى الكبير حاجتها لجهاد العلم الذي تحتاج الأمة إلى مناضلين في سبيله حتى تقوى به شوكة الأمة، وتعزّ



بطاقاتها وقدراتها في مستقبل الأيام، وتصبح ندّاً لكلّ عدوٍ، وقل مثل ذلك في جهاد بناء الأفكار والمفاهيم الصحيحة، وتصحيح التصوّرات الخاطئة، ومحاربة الأوهام التي أخذت مساحة كبيرة من عقول أبناء الأمة، وترتّب عليها خلل كبير في فقه أولوياتها وأهدافها الكبرى ومساحاتها الممكنة حتى أصبحت فارغة لا علاقة لها بالعمل في شيء.

وتعلّمت منها: بيان حقيقة الإنسان وأصل خلقته، وأنّه جُبل على الجحود ونكران نعم الله تعالى ونسيان فضله وإكرامه وإنعامه عليه، وهذا القَسَم من ربّك في بدايات السورة دليل على أنّ هذا الخُلُق متأصّل في نفسه، وليس في إنسان دون آخر، وإنّما عارض يعرض لكلّ إنسانٍ، ولا يسلم منه إلّا الأنبياء وكمّل أهل الصلاح ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ فقد جُبل الإنسان على حبّ ذاته وتقديم مصالحه، وتحقيق شهواته وإن كانت على حساب الآخرين، ومن لم يتنبّه لهذا الخُلُق بقي معه ما بقي في الحياة، ومن فقه الإنسان وكمال وعيه أن



يتعاهد نفسه بالإصلاح، ويقوم على تربيتها وتهذيبها من سيء الأخلاق وعادات السوء حتى يلحق بركب الصالحين المصلحين. وكم من إنسان قعدت به نفسه عن الفضائل! وتأخرت به عن ركب الصالحين! وتخلّفت به عن مواطن الحياة حتى عاد كاسداً من كلّ شيءٍ. وما أكثر هذه الصور في زمانك! وما أقلّ أصحاب الرايات! والله المستعان.

وتعلّمت منها: أنّ الإنسان جُبل على حبّ المال، والتعلّق به والمجالدة دونه بكل ممكن، وهذا أصل في الإنسان قلّ أن ينفكّ عنه، وهو جبلّة ملازمة له، فتراه شديد الولع بالمال، كثير الحبّ له، لا يكاد يخرجه من يده إلّا بعسرٍ ومشقةٍ، وكم من متأخّر عن مكارم الأخلاق من خلال هذا الخلق الذميم! وقيمة المال الكبرى ليست في كثرته في حسابك الشخصي، وإنّما بكونه في يدك، وليس في قلبك منه شيء، ومن توفيق الله تعالى لصاحبه أن يفرّج به همّاً، ويصنع به معروفاً، ويعين به محتاجاً، وتجري به ساحات الفرح في قلوب



الآخرين إلى أقصى مدى! ولن تتخلّص من هذا الأصل العارض إلّا بالوعي بدوره وأثره في بناء آخرتك، ومغالبة ذلك الأصل بأضداده من النفقة والجود به في مواطن الحاجة إليه، والمساهمة به في باب من أبواب الخير والجود والإحسان.

وتعلّمت منها: أنّ العبرة في النهايات بصلاح القلوب، وأنّها أصل في سعادة أصحابها في الدارين، ومن صلح قلبه صلح حاله وسعد ووجد من الفرح والسعادة والاستقرار والطمأنينة عاجل بشراه، وغالب نهايات السوء من فساد القلوب، وكم من ضالٍّ بسبب قلبه! وكم من خاتمة سوء من أثر ذلك، والله المستعان، وقد قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ وفي الصحيحين أنّ رجلاً شارك في الجهاد، وما ترك شاذّة ولا فاذّة إلّا صنعها في الأعداء، حتى أُخبر رسول الله ﷺ بما صنع، فقال ﷺ: «**هو في النار**» ثم جُرح فقتل نفسه، فذهب في عداد سوء



الخواتيم! وآخر شــارك في الجهاد، وحين قُســم له من الغنيمــة تركهــا وولّــى، وقــال ما علــى هــذا بايعتك يا رســول الله! بايعتك علــى أن أُرمى بســهم من هاهنا، وأشــار إلى حلقــه، فيخرج مــن هاهنا، فأدخــل الجنة! فقــال ﷺ: «**إن يصدق الله تعالــى يصدقه**» فمــا هي إلّا لحظات وإذا بهــم يحملونــه، وقد قتل رمياً بســهم في الموضع ذاته الذي أشــار إليه فقال ﷺ: «**أهو هو؟**» قالوا نعم! فقال: «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في ســبيلك، فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك**». فتنبّه لقلبك وتعاهده، واصدق الله تعالى في نيتك، وتخلّ عن كلّ صور الرياء، حتى تلقى الله تعالى، وأنت على أمثال هذا المعنى الكبير.



سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

علّمتني سورة القارعة: أنّ من فقه الإنسان وكمال وعيه أن يستعدّ غاية وسعه ليوم القيامة، وألّا يفرّط في لحظة من زمانه ما أمكنه ذلك، وأن يعلم يقيناً حقيقة ذلك اليوم، وأنه محفوف بالخطر، وهو حقيق بالاستعداد، وما قارئ لأحداثه التي تعرض السورة



بعضاً منها إلّا دليل على ما بعدها من أهوال ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾ ومن قرأ أحداث هذا اليوم من الوحي أدرك ما يستحق من عمل وجد، ولو لم يكن فيه إلّا هذا الخلق منذ خلق الله تعالى آدم إلى يوم القيامة في صعيد واحدٍ كالفراش المبثوت في الأرض، والجبال التي تحوّلت إلى صوفٍ منفوش بعد أن كانت أصلب ما يكون لأدرك ما ينتظره في ذلك اليوم.

وتعلّمت منها: أنّ الربح والخسارة يوم القيامة وقفٌ على الأعمال، وحسب كلّ إنسانٍ ثقل ميزانه وخفّته، ولا شيء دون هذه الحقائق في ذلك اليوم ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ وكلّ عاقل ينظر في عمله كثرة وقلّة، وصدقاً وصلاح نيّة قبل أن يُردّ على الله تعالى في تلك العَرَصَات، فيحسب أنّه على شيءٍ وإذا بالحقائق رأي



عين، وكم من قادم على الله تعالى كان يظنّ شيئاً، فلم يجد سوى الحسرات ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ ولا أقلّ من أن يعود الإنسان إلى نفسه، وينظر أول أمره في تعظيمه لأمر الله تعالى وإجلاله لشرائعه، وخوفه وبعده عن حرماته، ثم ليقبل على النظر في صلاته فإنّها أعظم الأعمال، وأوّل سؤال يُسأله قبل كل سؤال، ثم ينظر فيما بقي من أركان دينه، ويقيم شأنها ثم يقلّب بصره في علاقاته بالآخرين بدءاً بالأهم فالأهم والأقرب فالأقرب، ويهب لها ما يجري عليه بالتوفيق، ويحذر غاية وسعه أن يلقى الله تعالى ظالماً لمخلوق، أو باغياً على ضعيف حتى لو كان حيواناً من الحيوانات فضلاً عن أن يكون مسلماً من المسلمين، وقد بلغك عن نبيك ﷺ أنّ بغيّاً دخلت الجنة بسقيا كلب، ومن أزاح غصن شوك رآه رسول الله ﷺ يتقلّب في الجنان، ومن كان يداين الناس، ويقول لعامله: خذ ما تيسّر، واترك ما تعسّر وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنه عفا الله تعالى عنه، وقال: نحن أحق بالتجاوز منه، وتبسّمك في وجه أخيك صدقة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.



وتعلّمت منها: سوء عاقبة التفريط يوم القيامة، وأنّ قوماً عاشوا طويلاً في الدنيا، ثم وردوا على الله تعالى، فلم تصنع لهم تلك السنون شيئاً من الحياة، وعادوا خاسرين ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ وما يصنع بنار جهنم، وقد وصفها الله تعالى أنّها تشهق لرؤية أصحابها المفرطين كما تشهق البغلة للشعير ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢]. ﴿سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧] وأخبر نبيك ﷺ «**أنّ أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه**» رواه البخاري. فما بالك بمن ذهب حطباً لها!! نعوذ بالله تعالى من الحرمان.





سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾
لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ
ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

علّمتني سورة التكاثر: أنّ من فقه الإنسان وكمال عقله أن يقتصد في دنياه قدر الوسع، وألّا يأخذ منها إلّا ما يبلّغه غايات الآخرة فحسب، وفي قول الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ رسالة تحمل توبيخاً ولوماً للمشغولين بالتكاثر في قضايا الدنيا على



حساب الآخرة حتى وردوا القبور! وكم من إنسانٍ وهب الدنيا كلّ شيء، وأقبل عليها إقبال الراغبين وانشغل بحساب ما يجمعه منها، ولو على حساب صحته وسلامته، ترى ذلك فيمن يشتغل بجمع المال على حساب نقائه وصفائه من شوائب الحرام، ويجهد في الحصول على ذرية، ولا ينشغل بتربيتهم في مستقبل الأيام، وتحوّلت المسألة العددية حتى في أذهان كثير من أهل الفضل والصلاح وطلاب العلم، فتراهم ينشغلون بعدد برامجهم ومشاريعهم على حساب أثرها والعائد منها، وتراهم يعنون بوردهم الكمّي من الصلاة والصيام والقرآن والذكر على حساب العائد منه على أرواحهم وقلوبهم ومشاعرهم وكلّ هذا من الخطأ الذي ينبغي أن يعتني الإنسان بإصلاحه وإعادة تشكيله، ويضع نصب عينيه صلاح نيته، والقيام بحظوظه من التدبّر والتأمّل والخشوع، وصدقه وموافقته للسنة، وعليه في المقابل أن يزيد في الكم بالقدر الذي يمكنه الجمع بين الفضيلتين.



وتعلّمت منها: أنّ التسويف من أخطر الأمراض التي تواجه الإنسان في حياته.

فهؤلاء الذين ذمّهم الله بقوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ ممّن اعتراهم هذا المرض ولازمهم، وسيطر عليهم وما زالوا يؤخرون كثيراً من قضايا الإصلاح حتى ماتوا وتركوا كلّ شيءٍ. كثيرون اليوم يدركون سوء أحوالهم وحاجتهم الملحّة إلى إصلاح ذلك الواقع الذي يعيشونه، ولكنّهم يسوّفون حتى يفوت عليهم في النهاية كلّ شيء. وآخرون يعيشون فوضى عارمة في أوقاتهم وأولوياتهم ويتحسّرون على فوات أرباحهم منها كلّ يومٍ، وما تزال بهم الأماني لترميم تلك الأوضاع حتى تفجعهم الحوادث، ويرحلون دون شيء. ومن الفقه في مواجهة هذا المرض التخطيط، وإدارة الحياة واستثمار الأوقات المتاحة بكلّ ممكن، وإدارة الأولويات، وتحديد الأهداف حتى نكون قادرين على استثمار أوقاتنا بكلّ ما نملك، ومن ذلك التعجيل بكتابة الوصية، وتنظيم أمورها، والعناية بالأوقاف التي تمدّ في ذكر الإنسان



بعد موته، وتوسع في أثره بعد رحيله، وتجعله حيّاً ما بقيت الحياة.

وتعلّمت منها: أنّ الآخرة كلّ شيء، وأنّ من فقه الإنسان وكمال وعيه أن يأخذ أهبته واستعداده لها بأقصى ما يكون، وألّا ينشغل عنها بأي عارض مهما كان الداعي إليه، ولو لم يكن في ذلك إلّا هذا الوعيد للمشغولين عنها ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ وما من عاقل يقرأ نصوص الوحي إلّا وهو يعرف أنّ هذه الدنيا لا شيء بالنسبة لتلك الدار، وقد قال الله تعالى، وهو يصف هذه العاجلة ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠] وقال ﷺ: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلّا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع**» أخرجه مسلم، ولو لم يكن في الآخرة إلّا الجنة التي قال فيها ﷺ: «**لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**» رواه



البخاري، والنار التي أخبرنا عنها بقوله ﷺ: «**ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم يوم القيامة**» فقالوا يا رسول الله والله إنها لكافية! قال: «**لقد فضّلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها**» رواه البخاري، لكان كافياً عن كلّ شيء! وقد ترك السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين رسائل مدهشة في إدراك هذا المعنى، والعمل له، وبذل كل ممكن في سبيل أمانيه الكبار.



وتعلّمت منها: مسؤولية الإنسان الكبرى عن نعم الله تعالى، وما أكثرها في مثل زمانك! وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨] وكم من سؤالٍ سَيُدَار في عَرَصَات القيامة عنها ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾! عافية جسدك نعمة من نعم الله تعالى، وكم من مريضٍ ومعلولٍ! ونعمة دينك، وقد جعلك الله تعالى، مسلماً مؤمناً، وأمم في العالم من حولك على الكفر والإلحاد،



وكم من أمم تهدمت بيوتها من الحرب، وطُردت وشُرّدت، وهي تقاسي الظلام والحر والبرد والغربة، وفي مرات كثيرة لا تجد شربة ماء! فضلاً عمّا أعطاك الله تعالى من علمٍ وولدٍ وفكرٍ وجاهٍ ومنصبٍ، وكلّها سيجري عليها سؤال الله تعالى الكبير ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ﴿٨﴾.







علّمتني سورة العصر: أنّ قيمة الزمن في الحياة، وأثر كلّ إنسانٍ وقف على استثماره لوقته، وهذا القَسَم في بداية السورة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١﴾ دليل على هذا المعنى الكبير، وقد بلغك أنّ الله تعالى لا يقسم إلّا بعظيم! ومن عرف قدر هذا المعنى، وعني به استقبل أيام الربيع ما بقي من العمر. وكلّ الناجحين الذين تراهم في واقعك، أو تقرأ سيرهم في تاريخ أمّتك عنوا بهذه القيمة، وحرصوا عليها، وجهدوا في استثمارها حتى



دنت لهم الثمار، وما عاقل أحرص على شـــيءٍ حرصه على وقته، وكان الواحد من سلفك أشحّ بوقته منه على ديناره ودرهمـــه، وإذا كانـــت دقيقتـــان كافيتان لصلاة ركعتين، وعشـــرون دقيقة كافية لقراءة جـــزءٍ كاملٍ من كتاب الله تعالى، وســـبع دقائق تشـــرف بك على نهاية أعظم الأذكار في حياتك (لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيءٍ قدير) مائة مرة في فجر كلِّ يومٍ ومسائه، فلا أقل من أن تستقبل هذا المعنى وتعتني به، وتضعه في سلّم عاداتك الإيجابية التي تريد تكوينهـــا في قادم أيامك، ومثلك أوعى بصناعة الفرق.

وتعلّمت منها: أنّ الأصل في الإنسان الخسارة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ ولا يخـــرج من هـــذا الأصل إلّا استثناء عارف بشـــرف زمانه، ومتيقّظ للحياة من خلاله، وجادّ في بلوغ أمانيه مـــن الحياة. وهذا المعنى مؤذن لك بألّا تغرّك الكثرة في شيء، فهي على شفير الهلاك ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوســـف: ١٠٣] فتمثـــل



دينك وقيمك ومبادئك الكبرى، وخذ بوصية رسولك ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» رواه مسلم، ولا تنشغل بمن هم حولك في شـــيء، وارفع بصرك للســـابقين من الأجيال الناهضة، وليكونوا هم حُداتُـــك للحياة، والزم قول ربّك تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهــف: ٢٨] وكـــن كما قال لـــك ابن القيـــم رحمه الله تعالى: وكلّما استوحشـــت في تفرّدك، فانظـــر إلى الرفاق الســـابقين، واحرص على اللّحاق بهم، وغضّ الطرف عمّن سواهم، فإنهم لن يغنـــوا عنك من الله شـــيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق ســـيرك، فلا تلتفت إليهم، فإنّك متى التفت إليهم أخذوك أو أعاقوك.

❊ ❊ ❊

وتعلّمـت منها: أن توطّن نفســـك على استقبال العثرات، ومواجهة العوائق وتأخّر المشاريع، واستعلاء الباطل في كثير من الفترات لأنّ الغلبة كثيراً ما تكون للكثرة، وإن كان هذا ليس غالباً بفضل الله تعالى ولكنها ســـنن تلقى



حظها من الواقع في كثيـــر من الأحيان، ولا يمكن للقلّة أن تحقق نصراً على الكثرة المقابلة إلّا باســـتجماع قوى النصر الأخرى كحسن الصلة بالله تعالى، والتوكّل عليه، والصدق في الطريق إلى الله تعالى، والاســـتعداد الأمثل للنصر من خلال قوى العلم والمعرفة والتنظيم والترتيب التي تعدّ أســـباباً مهمّة جداً لتحقيق تلـــك الآمال التي نرقبها في قادم الأيام، والإسلام لا يستمدّ قوّته من كثرة الأتباع، وإنّما من قناعة أولئك الأتباع بدينهم، وتمسّكهم بقيمهم ومبادئهم ومثلهم الكبرى في الحياة.

وتعلّمت منهـا: أنّ كلّ المناهج والنُظم والأديان المنتشرة في الأرض ســـوى الإســـلام باطلة لا قيمة لها حتى لو كانت عند أصحابها وأهلها كلّ شيء، والسورة تقرّر هذا المعنى الكبيـــر ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وما عـــدا هؤلاء، فكلّهم في فلك الخسارة، وحضيض الحياة. وما أكثر الأديان الباطلة في زمانك! وهذا المعنـــى يزيد تعلقك بدينـــك، ويمنحك شـــعوراً مدهشـــاً بالإقبال على حقائقه والقناعة به. وما



تصنع بباطلٍ وأوهام باتت تأخذ حظّها من الأرض، وليس لها من الحقائق شيء. ولو أنّ عاقلاً فقه هذا المعنى لما صار بعد الإيمان إلى الكفر، وبعد الهداية إلى الضلال وبعد الإسلام إلى الردّة. ومن كان يتخيّل أن يتنصّر مسلمٌ أو يتهوّد أو ينكر خالقه، ويلحد وقد رأى الحقائق رأي عين، ولكن المعصوم من عصمه الله تعالى، ولا نهاية للضلال والحرمان.

وتعلّمت منها: أنّ الإيمان حركة كبرى في واقع الحياة، وليس معنىً جامداً في قلب إنسان! ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ يبدأ الإيمان في قلب صاحبه، ثم ما يلبث أن يجري في مشاعره، ويمدّ صاحبه بالقوى الفكرية والمشاعرية والوجدانية التي تجعله جزءاً من دينه ويقوم بحظوظه في الدارين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ولكنّه ليس ذلك الإيمان الجامد في قلب صاحبه، وإنّما ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ آمنوا ثم أقبلوا على العمل الصالح بكلّ أنواعه وأشكاله وصوره، ثم تحوّل ذلك المعنى من عمل



صالح إلى إصلاح تتعاون فيه تلك الفئات على حقائق الحق الذي يحملون، ويتحملون في المقابل الأعباء والأثقال التي يواجهون حتى تجري أحداث هـذا الدين في واقع الحياة، وتأخذ حظّها من نفوس العالمين.

وتعلّمت منها: أنّ كمال كلّ إنسـانٍ بمراتب أربع: معرفة الحق، والعمل به، وتعليمه للعالمين، والصبر على الأذى فيه، فكم من عارفٍ للحق غير عاملٍ به! وكم من عارف وعامل به وتفوت أرباح الدعوة عليـه! وكم من عارف وعالم ومعلم، ولكنّه قليل الصبـر على الأذى فيه! فإذا ما توافرت الصفـات الأربع في إنسـان، فأصبح عارفاً بالحق، وعاملاً به، وداعيـاً إليه، وصابراً على الأذى فيه كان ذلك من أعظم الدلائل على كمال إيمانه وعلّو كعبه وتمام إحسانه، والله المسؤول أن يجعلنا من هؤلاء.

وتعلّمت منها: أنّ الدعـوة إلـى دين الله تعالـى مرتبطة بالأذى، وكلّ فكرة أو مشروع أو قضية يراد لها الحياة في



واقع النـــاس تحتاج إلى جهاد ونضـــال، وليس أدلّ على ذلك من ســـير الأنبياء والمصلحين من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، والإشـــارة في الســـورة ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ بعد الأمر بالتواصي بالحق ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ دليل على ذلك. وهذا نبيّنا ﷺ اتّهم بالكذب والجنون، وأنّه صابئ، وشجّ رأسه، وكسرت رباعيته، ووضع سلا الجزور على ظهره، وحبس في شـــعب أبي طالب ثلاث ســـنوات، وطرد من مكة، ورمي بالحجارة في رحلة عودته من الطائف، وكلّ هذه سنّة من سنن الطريق ذكّره بها ورقة بن نوفل في أول نزول الوحي عليه، حين قـــال (ما جاء نبي بمثل ما جئت به إلّا عودي)، وعلى كلّ أب ومربٍّ وداعٍ للخير أن يدرك هذا المعنى، ويتحمّل أعباء الطريق ويقوم بواجبه، وستأتي ساعات الفرح والنجاح في قادم الأيام بإذن الله تعالى.

وتعلّمت منهـا: أثر الجماعة في دين الله تعالى، ترى ذلك من خلال واو الجماعة في الآية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ ومـــن تأمل التشريع، وعناية الإسلام بأمر الجماعة في أركان الإسلام



على وجه الخصوص عرف أثر ذلك في دين الله تعالى، وعلى سالك الطريق أن يمدّ قدر وسعه في هذه الغايات، وأن يجهد بكلّ ما يملك فــي تكامل أدوارها حتى يأتي منها علــى ما يريد في النهايات. ومــا حاجة الأمة اليوم إلى شــيءٍ حاجتها إلى إحياء روح الجماعة، وأوّل لبنة في هذا المعنى الكبير شعور الفرد بهذا المعنى، وتأصّله في فكره، وحرصه عليه غاية وسعه، ومن ثم تشكّله في الأسرة والبيت، ومن ثم مســجد الحي وجماعته مرورا بكلّ اجتماع يمكن أن يكون لبنة فــي الاجتماع الكبير الــذي ترقبه الأمة فــي النهاية وتكون به جســداً واحداً ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وتعلّمت منها: ضــرورة الصبر في حياة الإنســان، وأنّه أعظم الطرق السالكة بصاحبه إلى النجاح والتوفيق! ولو لم يكن من ذلك إلّا عناية الوحي به وتكراره في كتاب الله تعالى أكثر من تســعين مرة، ووعــد الله تعالى لأهله بأعظم الجزاء ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر: ١٠] ومن عــرف عوائده وذاق لذّته ورأى آثــاره أدرك الحياة



التي يخلفها هذا المعنى الكبير، وهو من الأخلاق التي تُتكسب بالمران، وقد قال ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله**» رواه البخاري ومسلم، وليس أصلح لبلوغ أمانيك في ولدك وطالبك وزوجك وصلاح بيتك ونجاح فكرتك ومشروعك منه، وهو كلّ شيءٍ بعد توفيق الله تعالى. وكم من ضالٍ عاد للهداية! وكم من عدو للحق صار من أنصاره! وكم من بعيدٍ عن الحياة رجع يشرب من معينها كلّ شيء!





سورة الهمزة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩

علّمتني سورة الهمزة: أنّ التعامل مع الآخرين دين كما هي بقية شرائع الإسلام لا فرق، فكما أنّ الصلاة والصيام دين، فكذلك تعامل الإنسان مع أهله وزوجه وأسرته وجاره وصديقه وزميله هي كذلك دين، ومن فقه الإنسان وكمال وعيه أن يرقب هذا المعنى، ويتعامل مع الآخرين، وهو يتعبّد الله تعالى بذلك وفي الحديث:



«إنّ صاحب حسن الخلق يبلغ درجة الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر» وقال ﷺ: **«إنّ من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»** رواه الترمذي، وإذا أردت أن تعرف قدر هذا المعنى، فتأمل وعيد الله تعالى في مطلع السورة للمعتدين على الآخرين الطامثين في أعراضهم كيف يتوعّدهم الله تعالى، وهو القوي العزيز ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ وانظر لمشاهد النهايات ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾.

وتعلّمت منها: أثر الكلمة وخطورتها في حياة إنسان، وكم من كلمةٍ ألقت في قلب صاحبها الأفراح! وكم من كلمةٍ ألقت به في أودية الضياع! وهذا الوعيد العظيم الذي تقرأه في مطلع السورة من أثر كلمة، وقد قال ﷺ: **«وإنّ العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يُحل الله بها عليه رضوانه إلى يوم القيامة. وإنّ العبد ليتكلّم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً**



يُحل الله بها عليه سخطه إلى يوم القيامة» رواه البخاري، ومن تتبع عورة أخيه تتبّع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته، والله المستعان! وقد قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في ترجمته لأحد الرجال بعد أن ذكر ذكاءه وعلومه: وتغيّر ذهنه في أواخر عمره، ونسي غالب محفوظاته حتى القرآن، ويقال إنّ ذلك كان عقوبة له لكثرة وقيعته في الناس. اهـ



وتعلّمت منها: خطر الغيبة، وأنّها مفضية بصاحبها إلى النيران، ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ والهمّاز هو الذي يعيب الناس ويطعن فيهم بالفعل كالإشارة والتمثيل بيده أو لسانه أو جسده ونحو ذلك، واللمّاز هو الذي يعيبهم ويطعن فيهم بالقول، وهي دليل على رذالة أخلاق صاحبها، وسوء طبعه، ورقّة دينه، وضعف قيمه، وكم من كلمة قالت لصاحبها: دعني، وقد قال ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟ المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته**



وهذا من حسـناته، فإن فنيت حسـناته قبـل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه فطُرح في النار» رواه البخاري.

وتعلّمت منها: أنّ من سـوء التوفيق لإنسـان أن يهبه الله تعالى نعمة من النعم ثم يذهب بهـا في الحرمات! ألا ترى هذا كيـف أنّ الله تعالى جعل له لسـاناً ومكّنه من الإفصاح عن حاجته والقيام بشـؤونه فإذا به يُجري هذه النعم فـي فلـك الحرمان فيتتبـع بها عـورات إخوانه ويكشـف بها سـرّ المؤمنين المتقين، ويعبـث بها في الحرمات حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة مثقلاً بالذنوب والسيئات. وكم من إنسان يعسر عليه ذكر من الأذكار، أو قراءة بعض آيات كتاب الله تعالى، وهو يخبط كل لحظة في أعراض المسـلمين لا يبالي ما يصنع فيها ولا يشعر بشـيءٍ من الخذلان، وليس لسـوء التوفيق حدود، والله المستعان.





وتعلّمت منها: أنّ الوحي يبني منهجاً في دحض الشبه والظنون الخاطئة، ويدفع عن الإنسان الأوهام، ويبني لديه تصوّرات الحياة كما ينبغي أن تكون، ومن عرف خطر هذه القضية، وأثرها الكبير في بناء مستقبله أدرك ما للوحي من آثار! الوحي يبني الأفكار والمفاهيم، ويشكّل التصورات الضخمة في حياة الإنسان، ولن تجد صاحب علاقة متينة بالوحي على علاقة بالأوهام في شيء، ومن بَعُد عن الوحي صار بيئة مهيّأة ومرتعاً خصباً للأوهام في مستقبل الأيام. تعرض السورة قصة مأسورٍ بالوهم ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ كسب أموالاً وظنها كل شيءٍ، وذهب يتمطّى في أعراض الناس بناءً على ذلك، وفاته أنّ المال لا يبني عزّاً أو جاهاً للإنسان إلّا بالقدر الذي يدفعه إلى مرضاة الله تعالى، وما عدا ذلك فضياع. وهذا درس متين يصلح للآباء والمربين والدعاة يدعوهم للتركيز على بناء الأفكار والمفاهيم من خلال الوحي، ويدعوهم للإغارة على مفاهيم الأوهام والدجل من خلاله.



وتعلّمت منها: أنّني إذا أردت علاج مشكلة ما في حياتي الخاصّة أو في بيتي وأسرتي أو على مستوى مشروعي ووظيفتي، فلا بدّ من وصف المشكلة وصفاً دقيقاً، ثم عرض أسبابها التي كوّنتها مع الأيام، ومن ثمّ نتائجها وأخطارها القادمة، وألّا أتعجل في علاج مشكلات دون النظر في أسبابها، والتعرّف على أخطارها في قادم الأيام.
تعرض السورة هذا النموذج المثالي في علاج المشكلات فوصفت المشكلة أولاً ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ وأبانت عن سببها الرئيس ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ ثم وضّحت بجلاء النتائج المترتبة على ذلك ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾.

وتعلّمت منها: أنّ الجزاء من جنس العمل، ومن استقبل الحرمان لقيه، ولو بعد حين. كان هذا الإنسان في عافية من أمره حتى أقبل على أعراض الآخرين، ثم ابتلي بسوء الخواتيم والعياذ بالله ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾ وما له



وللنار، وقــد كان في منــأى عن الضــلال! ومن ابتلي بالخوض في أعراض الآخرين ابتــلاه الله تعالى بموت قلبــه عاجلاً أو آجلاً، وقــلّ أن تجد مشــغولاً بأعراض الآخرين إلّا أشغله الله تعالى عن نفسه وأنساه مصالحه، وأجرى عليه السنن ذاتها في قادم الأيام.







علّمتني سورة الفيل: أنّ هدم (الأصول) فكرة قديمة لدى الأعداء، وهذه الهجمة على سنّة رسول الله ﷺ بضعة من فكرة أبرهة في قصة هدم الكعبة «**وما أكثر من هم مثل أبرهة في زماننا**» لقد رأى أبرهة أنّه لا حيلة ولا طريق إلى إيقاف زحف هذا الدين وتمكّنه في قلوب العالمين إلّا بإزاحة هذا الأصل من خلال هدم الكعبة، وتقويض بنيانها، فسيّر جيشه لتحقيق تلك الأمنية، والفكرة ذاتها تتجدد



اليوم في عقول أتباعه، وهاهم يجهدون في هدم وتشـويه أصول الإسلام (الكتاب والسنّة) في صور كثيرة تتجدّد مع تجدّد الزمان! من تلك الصور التشكيك في صحيح السنّة، والتركيز على المتشابه من النصوص، وإثارة الخلاف فيها، وفي المسـألة قـولان، وثلاثة، والحديـث ضعيف، حتى لا يكاد يسـتقيم لك نـصّ تجري عليه فصـول دينك في مسـتقبل الأيام. وما من عاقل أحوج منه اليوم إلى تعظيم الوحي، وإجلال شـعائره والقيام بحقه، وتقديس مفاهيمه وأخذه من أهله الذيـن زكّاهم الله تعالى في كتابه ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].



وتعلّمت منها: ضرورة العناية بأصول الإسلام وإجلالها، وأنّ هذه الأصول (الكتاب والسـنّة) أعظم مفاخر الأمة على الإطلاق، وهي خارطة الطريق وبوصلة الشـمال! وليس في الأرض كلّها أمة من الأمم تملك خارطة ترى بها معالم الحياة أوضح ما تكون كهذه الأمة، ومن عرف هذا المعنى تمسّك بها وجهد في حفظها وضبطها، ويمّم وجهه إليها حتى يـأذن الله تعالى له فيهـا ومن خلالها



بالحياة. وتعلمت من خلال هذا المعنى الكبير أنّ واجبنا تجاه حفظ هذا الوحي كبير وعظيم سواء من خلال زيادة فتح حلقات التحفيظ كتاباً وسنّة، أو التدريس فيها لمن يملك القدرة، أو شرح مضامينها وتعليم مفاهيمها لعموم المسلمين، أو بعث أبنائنا إليها ودعمها ماليّاً وفكريّاً واجتماعيّاً حتى تصبح أولاها وأهمّها المفاهيم التي تأخذ حظّها من عقول أبناء هذه الأمة، وتكون جزءاً مهمّاً ومؤثّراً في بناء منظوماتهم الفكرية والتربوية في مستقبل الأيام.

وتعلّمت منها: أنّ عدوك لا ينفك عن عدائك، وأنه أحرص ما يكون على حربك ومواجهتك بكلّ الوسائل الممكنة لديه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فلا تظنّنّ يوماً أنّه سيتخلّى عن حربك ومواجهتك، ومن فقهك وكمال وعيك أن تفقه هذه الحقيقة جيداً، وأن تكون مستعداً غاية الاستعداد لمجابهة تلك الحرب المنظّمة من خلال إيمانك بدينك، ويقينك بحقائقه، وثباتك على قيمك ومبادئك، وأن تتحصّن بالعلم حتى تكون أقدر على



مواجهته في معركته القادمة معك. لقد حاول أبرهة بكل ما يملك مــن قوّة وعتاد أن يهدم الكعبــة، ويقوّض هذا البنيان، ويهدم ذلك الأصل الكبير حتى يستطيع أن يمرر أفكاره ومفاهيمه كما يشاء، وعدو اليوم أمكن ألف مرة في أدوات الحرب التي يملكها، وآلة حربه اليوم قضايا الأفكار والمفاهيم التي يريد بها، ومن خلالها اســتبدال مفاهيم وتصــوّرات دينك وإحلال مفاهيــم وتصورات جديدة في مستقبل الأيام.

وتعلّمت منها: أنّ دين الله تعالى ســيظلّ حيّاً قادراً على البقاء مهما كانت قــدرة العدو الــذي يواجهه في تلك الحقبة من الزمن. لقد أقبل أبرهة بكل ما يملك وتركت قريش البيت له، وكان الطريق فســيحاً أمامه، فتولّى الله تعالى شأنه، ولم يتكلف له في شيء، وإنّما بعث له طيراً تحمل أحجــاراً صغيرة جــداً، وجعلهم عبــرة للتاريخ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ وإنّك حين ترى تلك الجنود التي حشــدها ذلك الطاغيــة، ثم ترى تلك



النهاية التي صاروا إليها ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥ ﴾ ومن طير فـــي أفق الســـماء، لتعلم يقينـــاً أنّ هذا الدين سيبقى ما بقيت الحياة، وأنّ كلّ صور الكيد والمعارضة التـــي تواجه هـــذا الدين مصيرهـــا الفشـــل والإخفاق، والتاريخ شـــاهد على ذلك، وما مصاولة فرعون، وأقوام الكفر من زمن نوح إلى زمان نبينـــا ﷺ إلّا بعض صور تلك الحقيقة الكبرى وفي النهاية إلى الضياع.

وتعلّمـت منها: عظيم قدرة الله تعالـــى، وأنّ الله تعالى إذا أراد أمراً قال لـــه: كن فيكون، وإنّ الناظـــر إلى الصورة والمشهد في بدايته لا يكاد يشـــك أنّ الكعبة إلى زوال، وأنّ هذه نهاية بيـــت الله تعالى من الأرض، وأنّه لا يبقى أصـــل يتهادى إليـــه العالمون في مكان، ثـــم ما هي إلّا لحظات والقوم صرعـــى كالزرع الذي أكلتـــه الدواب، وألقت عليه بأقدامها حتى جعلته رفاتاً، وبانت الحقائق أظهـــر ما يكون! وما أكثر هذه المشـــاهد فـــي أعداء الله تعالى من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، وما زالت تتكرّر وتتعدّد مشـــاهدها، والمصروف من صرفه الله تعالى عن هذه المشـــاهد، وألقى به إلى الضياع مـــن جديد، وفي



الحديث «**إنّ الله يملي للظالم فـإذا أخذه لم يفلته**» رواه ابن ماجه، اقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وتعلّمت منها: عاقبة المعصية وشدّة خطرها وسوء شؤمها على أصحابها، ولا أدلّ على ذلك من منظر أولئك الطغاة وهم صرعى على الأرض بعد أن كانوا يرفلون في الحياة كما يشاؤون ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾. لقد أخذ منهم الغي والباطل كلّ شيءٍ، وبلغ من نفوسهم كلّ موقع ونسوا كلّ عبرة، وطغوا حتى تطاولوا على الله تعالى، ورأوا أنهم أقدر على هدم بيته ومواجهة دينه وقتل أوليائه! وإذا تأملت في واقعك رأيت كيف تفعل المعاصي بأصحابها، يرون الحقائق رأي عين، ويخرجون كلّ مرة من عنق الزجاجة، وتفرج عنهم أبواب السجون، ويعودون إلى المكان ذاته من جديد، وتجري عليهم أحداث الفشل والإخفاق من جديد.





علّمتني سورة قريش: أنّ «**الوحدة والاجتماع والائتلاف**» في بيت وأسرة ومجتمع من أعظم النعم التي يجب أن تأخذ حظّها من الشكر والعرفان! وضياع هذا المعنى في واقعٍ ما ضياع لكلّ شيء. إنّ الله تعالى يمتنّ على قريش بهذا الاجتماع الذي صنعه لهم، وأمنهم في رحلاتهم، وطلبهم رزقهم ذاهبين وعائدين، وهم آمنون مطمئنون ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢﴾ وقد قال ﷺ: «**من أصبح منكم آمناً في سربه، معافىً في**



جسده، عنده قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها» ومن حُرم شيئاً من ذلك، فقد حرم كلّ شيء، وما يصنع آمن في سربه لا يجد ما يسدّ به جوعه! وما يفعل إنسان بأرزاق الدنيا كلّها بين يديه، وهو لا يستطيع أن يرفع لقمته إلى فمه من الخوف! ووعي هذا المعنى ورعايته يجب أن تبدأ من الفرد، فيكون صالحاً للاجتماع والائتلاف في بيته وأسرته وعمله ومشروعه، وأيّ خلاف يصنعه الفرد في تلك المساحات هو ثقب الغرق في سفينة النجاة العامة في النهاية، وقل مثل ذلك في حياة كل ابن وزوج وأب في كلّ بيتٍ وأسرةٍ وحيٍّ ومجتمع!



وتعلّمت منها: أنّ عبادة الله تعالى أعظم معاني الشكر، وأنّ من أقبل على الله تعالى صادقاً وعظّم شعائره وأدّى واجباته، فقد أتى على شكر نعم الله تعالى، وقام بحقها من الإجلال! وأدركت حينها أنّ الشكر ليس تلك الكلمات التي نردّدها على ألسنتنا دون أن تأخذ حظّها من قلوبنا ومشاعرنا، ولا تلك السبحة الطويلة التي أدير خرزها في كلّ مرة ولا أشعر إلّا بنهايتها، وإنّما هو



استشــعارها في قلبك وجوارحك، والفــرح واللّذة بها، وإذا أخذت حظّها من القلب جرت على لســان صاحبها في كلّ لحظة، ومن ثم اســتثمارها فــي طاعة الله تعالى والتقوّي بها على مراضيه! وكم من شــاكر بلسانه وهو عاكف على معصيته! وكم ممّن يجري خرز مسبحته على يديه كلّ لحظة وهو أعظم الغافلين عن القيام بحقه!





سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

علّمتني سورة الماعون: أنّ الإسلام كما هو علاقة بين الخالق والمخلوق، فهو كذلك علاقة بين المخلوقين بعضهم ببعض! وأخطر المفاهيم التي تواجه كثيرين اليوم هذا الفصل الشائع بين المعنيين، مما ولّد خصاماً سافراً في الواقع، فتراه حريصاً على شعائر الله تعالى من الصلاة والصيام وغيرها من العبادات، وهو ذاته الذي



لا يتحرّج من الاعتداء على حقوق الآخرين، فيأكل مال يتيم، ويعبث بحقّ زوجه، ويعتـــدي على جاره، ويظلم عامله، وتجري منه فصول كثيـــرة، وهو لا يكاد يتخلّف عن مســـاجد الله تعالى في شـــيء! وهذه السورة ترسم مســـاحة من ســـوء هذا المعنى الكبير في حياة أصحابه ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ وإذا أعدت قراءة هذه السورة مراراً فسترى هذه الحقيقة المرّة، والتي يصوّر فيها القرآن أنّ أعظم صـــور التكذيب بيوم القيامة وأشدّها أثراً في حياة صاحبها عدم رعايته لحقوق هؤلاء الأيتام والمساكين.

إنّ المتأمّل في حياة المســـلمين اليوم ســـيرى فوضى كبيرة ومخلّة في هذا المعنـــى، ترى فيها المصلي الصائم القارئ لكتابه تعالى هـــو ذاته القاطع لرحمه، والمخاصم لجاره، والمختلف مع زوجه، والذي تدار المعارك صباح مساء مع أبنائه، ثم إذا أذّن المؤذّن للصلاة يمّم وجهه إلى بيت الله تعالى مصلّياً متعبّداً حافظاً لهذا الحقّ العظيم، ثم لا يلبث أن يخلع كلّ تلك العبـــادة مع أول قدم يخرجها



من المسجد، وتبدأ فصول الخصومة والنزاع وأكل أموال الضعفاء والظلم، تجري في فصول حياته في يومه وليلته زمناً من الدهر، ولو أنّه أعاد قراءة نصوص الوحي وتأمّل في سورة الماعون، وهي تخاصم المتسوّرين على حقوق الآخرين لفقه ما يراد منه في الحياة.



وتعلّمت منها: أنّ الإسلام يرعى حقوق الضعفاء والفقراء والمساكين ويعتني بشأنهم، ويخاصم من يؤذيهم أو يقف لهم في عرض الطريق للدرجة التي يجعل من أعظم صفات المكذّبين بيوم القيامة من لا يرعى تلك الحقوق أو يقوم لهم بتلك الواجبات، وإذا أردت أن تعرف حقوق هؤلاء فاقرأ نصوص الوحيين بوعي تجد كلّ شيء! هذا الإسلام يدعوك لرعاية هذه الفئات والقيام بشؤونهم، والسعي لهم بكلّ ممكن، وفي الحديث قال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**»، وقال ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**» رواه البخاري ومسلم، فتأمّل هذه المعاني، وانظر لأثر هذه الثغور التي تجعل ملازمها أقرب، الناس



برســـول الله ﷺ، وكالواقف على ثغور الجهاد، وهو لم يخرج قيد شبر! فكيف إذا أدركت أنّ هذا العمل موجب لحصول بركات الــرزق والنصر قال ﷺ: «**إنّما تنصرون وترزقــون بضعفائكــم**» وهــذه المعاني مــن فروض الكفايات متــى ما تُركت لحق الأمــة بفواتها إثم كبير، وهي أحوج ما تكون إلــى صاحب رايةٍ وتخصّص يرفع عن الأمة إثمها يوماً من الدهــر، فانظر إلى واقعك من هذا المعنــى الكبير، وتأمّل ســيرتك فــي رحاب هذه المســاحة، واجعل لنفســك منها نصيب الفالحين بما تستطيع، وكم من وقتٍ أو جهدٍ أو فكرةٍ أو مساحة عمل في ظلال هذا المعنى جرى عليك بنعيم الدارين!

وتعلّمت منهـا: أنّ عنايتك بأولوياتــك والاهتمام بها من أعظم ما ينبغي أن يســيطر على تفكيرك حتى تأتي منها على أمانيك، وقضية الصــلاة أول ما ينبغي أن تكون في سُــلّم أولوياتك، وقد بلغك أنّها ركن الإســلام الثاني، وتاركها كافر والعياذ بالله تعالى، وأوّل سؤال تُسأله عنها بين يدي الله تعالى يوم القيامة قال ﷺ: «**أول ما يحاسب**



عليه العبد الصلاة» وظلّ نبيك ﷺ يُوصي بها، وهو في سكرات الموت «**الله الله في الصلاة**»، وإذا كان المصلّي متوعد على فوات بعض حظوظها من واقعه، وهو يصلي فكيف بمن فرّط فيها وضيّعها من أصلها والله المستعان!

إنّ من فقهك أن تجلّ صلاتك، وأن تتوجه إليها مع أول صوت المؤذن، وأن تتهيأ لها غاية وسعك، ثم إذا أقبلت إليها أقبلت وأنت تعلم أنّ الله تعالى قبالة وجهك، وأيّ انصراف بقلبك عنها مؤذن بانصراف الخيرات بين يديك، وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوية للقلب، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدّة للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة للشيطان، مقربة من الرحمٰن، وبالجملة: فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما، وما ابتلي رجلان بعاهةٍ أو داءٍ أو محنةٍ أو بليّةٍ إلّا كان حظّ المصلّي منهما أقلّ وعاقبته أسلم. اهـ.



وتعلّمت منها: بأنّ أخطر الأمراض التي تواجهك ليست الأمراض الحسيّة التي يمكن علاجها في أقرب مكان إليك، وإنّما الأمراض المعنوية التي لا يعتلّ منها جسدك الظاهر، ولا تلقى لها عقبات مباشرة في طريق يومك وليلتك، ولكنها تنخر في حياتك وتذهب بعملك، وتضيع جهدك وتُسفّك الرمل الحار بعد كلِّ عناءٍ وجهدٍ ووقت، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ الرياء: أن تعمل عملاً في أصله قربة لربك، وفي حقيقته رغبة في مدح من حولك واستكثاراً من شكرهم وتقديرهم، فلا أنت الذي عبدت ربك، ولا أنت الذي لقيت من المخلوقين ما يعوض جهدك وتعبك! كم من عمل كبير حقّرته النية! وكم من عمل صغير عظّمته النية! وقد قال الفضيل رحمه الله تعالى: إنّما يريد الله تعالى منك نيتك. وقال سفيان رحمه الله تعالى: ما عالجت شيئاً أشدّ عليّ من نيتي، وإذا أردت أن تعرف خطر الرياء، فتأمل كلام ربك في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من أشرك معي غيري تركته وشركه**»، وحديث الثلاثة «**مجاهد، وحافظٌ للقرآن، ومتصدق**» الذين جهدوا وتعبوا وبذلوا، ولكن في غير طريق، وفي النهاية هم أول من



تسعّر بهم نار جهنم يوم القيامة، وكلّ واحد من هؤلاء يقول لربه: إنّما فعلته من أجلك، فيقول: كذبت، إنّما فعلته من أجل كذا، وقد قيل!

فيمّم وجهك إلى ربك، واصدق معه قدر وسعك، وأكثر من الأعمال الصالحة فيما بينك وبينه، وسَلْه أن يسلّ من قلبك عاجل ثناء المخلوقين، ويقبل بك عليه إنه جواد كريم.



وتعلّمت منها: أنّ ثمّة أخلاقاً لا تليق بالكبار، ولا تصلح للمؤمنين في شيء، وهي أخلاق البخل والشحّ، قال تعالى: ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝ ﴾ وليس الماعون هو قدرك ودلوك الذي تمنعه الآخرين، وإنّما يجري في صور كثيرة تفوق الحصر منها طالب علم ضنّ بكتبه ومذكراته التي كتبها على زميل محتاج لها، وصاحب علم قعد في بيته رغم حاجة مسجد الحي لإمام أو لدرس، ومنها مَن منّ الله تعالى عليه بجاه ومسؤولية ومكانة، ولكنه لم يستثمرها في مشروع لدينه ومنهجه وظلّ كلّاً على من



حوله، ومنهـا أولئك الذيـن حين تغيّـب زميلهم عن مدرسـته لعذر لم يكرموه بما بلغهم في زمن غيابه من إشارات ومهارات، أو ذلك الذي أعطاه الله تعالى مالاً ثم لا يجد ما يسـدّ به جوعة محتاج أو فقير أو مسـكين! وتجري هذه الصور في حياة إنسـان معه سـيارتان ولا حاجة له للأخرى، وجاره محتاج لها وهو يبخل بها، أو زميل يملك رصيـداً من علم الفرائض وعلم الحسـاب والحاجة إليه ماسّـة جدّاً، ولكنه لم يهب من حوله من ذلك شـيئاً، أو تلك التي تملك فسـتاناً للفرح، ولكنها ضنّت به على من تحتاج إليه فـي حالك الظرف. وهي دعوة في المقابل أن تكون كريماً جواداً باذلاً معطاءً سواء في طاقاتك وقدراتك ومهاراتك، أو في مالك وشفاعتك، أو حتى في طلاقة وجهك، وكن جزءاً من الحياة ومساحةً من الربيع تلقى كلّ شيء.







علّمتني سورة الكوثر: حبّ الله تعالى لأوليائه، ورعايته لهم، ودفاعه عنهم، وتذكرك بقول ربك تعالى في الحديث القدسي: «**من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب**» رواه البخاري، حين وصف الكفار نبي الله تعالى بأنه أبتر لا عقب له، وأنّه لا يأتي له ولد إلّا مات، وعيّروه بذلك، تولى الله تعالى الدفاع عنه، وأغدق على مشاعره بردّ تلك التهم الفارغة، وأخبره بعطائه الكبير، وسلّاه بأنه هو الموصول وغيره المقطوع ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ومن قرأ تفاصيل هذا المعنى في كتاب الله تعالى وفي



سنّة رسوله ﷺ جرت الحياة في مشاعره إلى أقصى مدى! وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «**وما تقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما تردّدت في شيءٍ تردّدي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**» فتأمل هذه الصورة، وقارنها بتلك التي تولّى الله تعالى فيها الدفاع عن نبيه وواجه أعداءه وسلّى مشاعره وكفاه مؤونة أولئك الأعداء لتعلم قول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ وإذا كانت الحقائق كذلك، فاعقد العزم على صناعة هذه الولاية، وستجري أحداثها الكبرى في واقعك يوماً من الدهر.

وتعلّمت منها: أنّ الثبات على الحق، والصلة بالله تعالى، والانشغال بالعمل الصالح، أعظم ما تواجه به عدوك،



وأكبر الردود على المعرضين مـن حولك حين يتوجّه إليك عدوك ويقف في وجهك، ويزاحم طريقك، ويقف ندّاً لك، فلا تنشغل بالرد عليه والخصام معه والانشغال به، وتنصرف عن مشـروعك وفكرتـك وقضيتك بل توجّه إلى ربـك، وأقبل عليه وأصلـح ما بينك وبينه، وهو تعالى سيتولّى عنك كلّ شيء، ترى في السورة أنّ الله تعالـى لم يدل رسـوله ﷺ على الدفاع عن نفسـه وتبرئتها ممّا عيّروه به، وإنّما دلّه على العبادة، وأوصاه بأن يمسـك بالطريق من خـلال هذا المعنـى الكبير ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَـرْ ۝٢ ﴾ ما أكثر ما يعرض لنا العدو في الطريق! وما أكثر ما يشوّش علينا مشاريعنا ويوقفنا عنها دون وعي. كـم هي الأحداث التـي داهمت الأمة وما زالت، وكم أخـذت منّا من متابعـة لأخبارها وتحليل لمجرياتها وفرز لأحداثهـا، وما إن تنتهـي حتى تبدأ حرب أخرى بذات الصورة، وفي مساحة أخرى وتأخذ منّا الأوقات ذاتها أو أكثر، ثـم تضيع أعمارنا في تلك المساحات، فلا نحن دفعنا بمشاريعنا للأمام، ولا نحن أقبلنا علـى الله تعالى، وأجرينا الحياة في نفوسـنا من خلال ذلك المعنى الكبير، وربح العدو مرتين، مرة في



مســـاحة الأرض التي قرّر فيها الحـــرب، والأخرى في المســـاحة التي هو بمنأى عنها حين أشـــغل بعضاً من خصومه عن مواجهته الفعليـــة بالهوامش والفوضى في عرض الطريق. تعلّم في كلّ مرة ألّا تنشـــغل بعدوّك إذا لم تكن في أرضه ومســـاحته التي يجري فيها الحرب، واعتبر تلك الدائرة على الإســـلام في مساحة ما فرصة لتمتين دينك والعناية بمشـــروعك، حتى إذا ما انتهت الحرب، فإذا بك متيناً كبيراً في مساحاتك ودائرتك.



وتعلّمـت منهـا: أنّ إدارة الأولويّات أعظـــم ما ينبغي أن تنشغل به في يومك وليلتك ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾! فصلّ لربك وانحر في غمرة الأحداث التي تواجهك، والظروف التي تعترضك، والعقبات التي يشنّها العدو في طريقك، وهي رسالة ألّا يعيقك عن مشروعك وفكرتك وقضيتك الأم شـــيء، وأنّ أعظم شـــيءٍ تواجه به معارك الخصوم طاعتك لربّك ورعايتك لأولوياتك وانشـــغالك بفكرتك مهما كانت الخطوب من حولك. في مرّات كثيرة ـ وفي خضم ظروف الحياة الضخمة ـ تواجه الإنسان مشكلات



وعقبات في الطريق يختلّ فيها توازنه وأولوياته، وينشغل بها للدرجة التي تذهـــب أوقاته أعزّ ما يملك في مواجهة تلك المشكلات أو محاولة إصلاحها وترميمها، ووصية الوحي لك أن تعود إلـــى ربّك، وتعيد بناء نفســـك من خلال إحياء علاقتك به تعالى، ولله كـــم من عوائد لهذا المعنى على صاحبه! وكم من أفراحٍ تغشى مشاعره! وكم من أحداث ربيع في فكرته ومشروعه وقضيته! ومن قرأ وصية الله تعالى الكبرى لنبيه ﷺ في باكر تكليفه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٤] أدرك هذا المعنى الكبير بجلاء، ومثلك أوعى بفقه درســـك، وأعرف بأولوياتك، وأعظم من تجري عليك مشـــاهد زمانك، ثم لا يكون لك فيها ذكرى وعظة! إذا دهمتك الأحداث، فيمّم وجهك إلى الله تعالى، وأدم الوقوف بين يديه، وأطل سجودك، وأحسن التضرع إليه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وليكن هِجِّيراكَ يا رب، يا رب، وستجري لك فصول الربيع من جديد.



سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

علّمتني سورة الكافرون: قضية التوحيد، وتعلّمك أن إقبالك على ربّك، وتمحّضك له، وتوجهك إليه أجلّ ما تعبّدت به له، وأعظم ما قضيت به أوقاتك، وكلّ عبادة من عباداتك إنّما هي سقاء لذلك المعنى الكبير. وتقرّر لك في الوقت ذاته أنّ الأحق بقلبك ومشاعرك وسؤالك وتوجهك هو الله تعالى وحده وما عداه لا شيء. تخلّص من كلّ شيءٍ يأخذ حظاً من قلبك ومشاعرك، وتجري له مساحة في وجدانك،



واجعل قلبك لربّك وحده تعالى ودعك من الشـــركاء، فهم لا يغنون في شـــيء ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ وتؤكـــد لـــك أنّ توحيـــدك لا يســـتقيم إلّا بركنين اثنيـــن: الأوّل: إخلاصك له تعالـــى، وصرفـــك كل أنواع العبـــادة له، والثاني: براءتك من الشـــرك وحذارك مـــن أهله، وليس أعظم في حياتك من هذه الحقائق الكبرى، ومتى استقام هذان المعنيان في قلبك ومشـــاعرك وجرت معانيها في واقعك، فقد استقام لك كلّ شيء! لا أعلم حرية أجلّ من حرية التوحيد، ولا نفس عزة أضخم في قلبك ومشاعرك من نفس التوحيد، ومـــن صحّ له توحيده صـــحّ له كلّ شـــيء، ومن قرأ الوحـــي والتاريخ بعيـــن المعتبر رأى الحقائق رأي عين، وعاش بهيجاً بالحقائق التي يحملها حتى ذلك اليوم.

وتعلّمت منها: أنّ الحق أكبر من أن يتسوّل المعرضين في منتصف الطريق، وهذه المفاصلة التي يصنعها النبي ﷺ



مع الكافرين في أوّل خطوات الدعــوة لدين الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ وفي مواجهة العدو المتمكــن في الأرض تلــك الحقبة مع الحاجة للمهادنة دليل على أنّه ليـــس هناك نقطة يلتقي فيها دين الله تعالى مع الباطل إلّا على ســبيل الرضا بأنّ دين الله تعالى هو الحق، وما عداه باطل لا قيمة له، وكلّ مشـــاريع التقريب التي يراد لها اليوم أن تأخذ حظّها من الواقــع تظلّ في مواجهـــة هذه المفاصلـــة الكبرى التي تصنعها سورة الكافرون بالأمس واليوم وإلى قيام الساعة لا وزن لها، وإذا أدركنـــا أنّنا نتحدث مع كافر ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ علمنا أنه لا سبيل للتقريب مع ضالٍّ لا علاقة له بالوحي في شـــيء. جاء الإسلام ليكون هو المهيمـــن علـــى الأرض، الباســـط فيها نفـــوذه، صانع الحضارة الروحيّة والمعنويّة والحسيّة للعالمين، وما عداه من النظم إنّما هي ظلام وإن تبـــدّت في صورة حضارة مادية، تســـقي الأحياء منها ما يشـــاؤون في أول الأمر. وأســـوأ الحقائق حين نريد أن نمزج بيـــن الظلام والنور ونقرّب بيـــن الحقائق والأوهام، ونعقـــد صلة بين الحق والجاهلية في آن واحد. الإسلام هو دين الله تعالى الحق،



وهو الأقدر على منح الحياة حقّهـا من الجمال، وليس في الأرض كلّها دين غيره صالح للحياة.

وتعلّمت منها: أنّ وصف الإنسان بما هـو فيه منهج شـرعي ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ وكلّ ملّة لا حظّ لها من ديـن الله تعالى، فهي ملّة كفـر وأهلها كافرون، وكلّ دعوى تخالف هذا المعنـى فهي جاهلية تعارض الحق، وتقف له فـي منتصف الطريق، هـذه الحقيقة يجـب أن تأخذ حقها الكبيـر من واقع الحيـاة، وثمّة أصوات تخاصمك حين تقول لصاحـب الكفر: كافر، ومعتنق النفـاق: منافـق، وتريد منـك أن تتحضّر في لغتك، وتسمو على كلّ الخلافات الجوهرية، وتقول في خطابك لكل هؤلاء «الآخَرْ»!! وفات كلّ هؤلاء أن الذي يقرّر هذا المعنى الكبيـر هو الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]! وأنّ أفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا عن الحياة كلّها بلا استثناء يجب أن تجري وفـق هذا الوحـي لا تتخلّف عنه في شـيء، وأنّ كل فهـم أو تصوّر يخرج عـن نطاق هذا



الوحي، فهو ضلال لا قيمة له في شيء، غير أنّ من الوعي أن تفهم جيداً أنّ تقرير قضية الكفر، وتمسّك أهله به لا يعني سلب حقوقهم، أو الاعتداء عليهم وظلمهم في شيء، وإذا أرادوا أن يبقوا على ملّتهم فالإسلام يقرّهم على ذلك وفق شروط حدّدها وبيّنها، وأنّه ليس ثمّة تعارض بين وصف الإنسان بما هو فيه، والتعامل معه بأرقى صور الاحترام والتقدير، وقد بسط الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨] وأخطر ما يُعبث به في زمانك «**الأفكار والمفاهيم والتصوّرات**» فكن من أمرك على يقين.

وتعلّمت منها: أنّ الثبات على القيم والمبادئ من أعظم ما يميّز أصحاب الحق، وأنّه مهما كانت الظروف التي تواجههم في تلك الحقبة أو تقف في طريق أحلامهم لا يمكن أن يتنازلوا عن مبادئهم وأفكارهم وقضاياهم التي يحملونها حتى يأذن الله تعالى بآمالهم التي يحلمون



بتحقيقها يوماً ما. إنّ دور المصلحين سواءً كانوا آباءً أو دعاةً أو مربين إيضاح الطريق وإقناع العالمين به، وبيان ما فيه من الحياة ليس إلّا، وما بعد ذلك فالأمر لله تعالى من قبل ومن بعد، وهذا المعنى الكبير في بداية الدعوة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ بيان لتلك الحقيقة في أول أيام الدعوة وأوّل بشائر الحق في الأرض، فأما اليوم فقد بان كل شيءٍ، وانجلت غبار الأوهام، وبات كلّ شيء أوضح من الشمس في رابعة النهار. لقد عُرض على النبي ﷺ في باكر الدعوة الأموال والزواج، وكلّ شيءٍ من أجل أن يتوقف عن فكرته وقضيته وعقيدته الكبرى، فما زاد على أن قال «**ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك على أن تشعلوا لي منها شعلة**» أي الشمس! وتحمّل في سبيل ذلك الثبات كلّ وسائل التعذيب من سجن وحصار وطرد وإبعاد وخروج من بلده، وتحمّل أعباء الغربة، وكسرت رباعيته، ووضع سلا الجزور على رقبته، وما زاده ذلك إلّا يقيناً بالحق الذي معه حتى جاءت الحقائق تزدلف بين عينيه، وحان موعد النصر



الكبير، ودخل مكة ورأسه يطاول السماء، وعادت جملة كبيرة وأعداد ضخمة من أمم الكفر مســلمة مؤمنة بدين الله تعالى وآمنت بالأفــكار الجديــدة، وأعلنت ولاءها للعقيدة التــي يحملها ﷺ، وجرت الحيــاة كما يريد الله تعالى، وصنع الثبات حقائق التاريخ كما يشاء.





سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

علّمتني سورة النصر: أنّ تحقيق أحلامك، وبلوغك آمالك سيأتي ولو بعد حين! كم بين هذه الحقيقة التي يخبر الله تعالى بها في هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ وبدايات الدعوة، وصراع العقبات، وأحاديث النصر والهزيمة! كم بين هذه البشارة الضخمة التي يتلقّاها رسول الله ﷺ وبدايات الطريق وأيام المحن والبلاء، وحوادث الزمان التي مرّ بها ﷺ في تلك الحقبة من



الزمن! من كان يقول بـأن الذي وقف على الصفا وحيداً هو الذي سينتصر في النهاية! أو مَنْ كان يتوقّع أن الطريد من أرضـه، والمحصور في شـعب أبـي طالب ثلاث سنوات حتى أكل ورق الشجر هو الذي ستشرق له شمس النهايات بالنصر والتمكين! تعلّمت من هذه السـورة أنّ نجاحك في الطريق مرهون بصبرك، وبلائك في الطريق، وأنّ المشاريع الضخمة والأفكار الكبيرة تحتاج إلى نوع من التضحيات تليق بها، وتصنع لها الحياة. تذكّر وأنت في الطريق إلى تلك الأحلام هذه النهايات، فما من طريق إلّا وله نهاية، وما من بدايـة إلّا وتنتظر الخواتيم، وغداً سيحين ربيع أيامك، وتجري أحلامك كما تشاء، وتلقى كلّ غيب كنت بالأشواق إليه، وإن غداً لناظره لقريب!

وتعلّمت منها: أنّ النجاح الذي يتحقق لـك في النهايات، والفوز الذي تلقـاه في الخواتيم إنّما هـو توفيق الله تعالى وهدايته لـك، وليس لك من ذلك إلّا بذل الأسـباب، لقد بذل رسول الله ﷺ لدينه ومنهجه كلّ شـيء حتى إنه جُرح وشجّ رأسـه، وكسرت رباعيته، ووضع سـلا الجزور على



ظهره، وحوصر في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، وطرد من بلـــده، وعاش غمـــوم الحيـــاة، ويخبـــره الله تعالى في النهايـــات ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ نصـــر الله تعالـــى وليس نصرك، وتوفيق الله تعالى وليس ذكاؤك، وعطف الله تعالى عليك وليســـت قدراتك ولا مهاراتك ولا إمكاناتك، ليس نصرك ولا جهدك ولا تعبك، وإنّما نصر الله تعالى، ومحض توفيقه وتفضّله عليك، فاحمد الله تعالى وتذلّل له، واشكره على كل ما تحقق لك، فهو الذي اختارك واصطفاك لذلك المعنى الكبير، وهو الذي شرح صدرك له، وأقبل بك عليه، ويسّـــر لك الطريق، ودفع عنك العقبات وأعانك، وما زال بك حتى جاءت تلك الأماني كمـــا تريد، واحفظ وصية الله تعالـــى لنبيه ﷺ فـــي مشـــاهد الختـــام ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ وما جرى مع رسولك ﷺ سيجري عليك لا فرق، فالدين دين الله تعالى، والأمر أمره وله كلّ شيء، وحســـبك بذل الأســـباب، والناصر هو الله تعالى، وكن على يقين بأن ما يجري لك من نصر وتمكين في طريقك إنّما هو فضـــل الله تعالى عليك، وآمن أنك بالله وبدونه لا شيء.



وتعلّمت منها: أنّ قناعات النـــاس بالحق الذي معك، وإيمانهم بأفكارك، وقبولهم لقضيتك لا تأتي في العادة مبكراً، بل قد يطول زمان انتظارها كثيراً، فإياك واليأس من الانتظار! الأفكار الضخمة والمبادئ الكبرى تحتاج إلى زمـــنٍ طويل حتى تأخـــذ حقّها من قلـــوب الناس ومشاعرهم، كم مرّة قال فيها النبي ﷺ: «**يا أيها الناس قولوا: لا إله إلّا الله، تفلحوا**»؟ وكم مرّة خاصموه وجفوه وضربوه في سبيل مدافعتهم لتلك الأفكار التي تريد أن تخلّصهـــم من ضلالهـــم، وتبني لهم الحيـــاة؟ كم مرّة انفضّ ذلك الاجتماع الكبير نفـــوراً من تلك المفاهيم التي يطرحهـــا النبي ﷺ!! وكم مـــرّة خاصموه ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [صٓ: ٥]؟! ولكنّـــه ﷺ كان مصرّاً على مدار عشر سنوات، وعلى الفكرة ذاتها والمفهوم والقضية «**يا أيهـــا الناس قولوا: لا إله إلّا الله، تفلحوا**» حتى حان موعد الأحلام! حتـــى تعلم أنه إذا آمنت بفكرة أو قضية أو مشـــروع وأردت لـــه الحياة، فلا بدّ أن يرضع أولاً من قناعاتـــك حتى الري، ثم إذا خرجت بـــه للعالمين عاش حيّـــاً حتى يحيـــن موعد الأفراح! تخيّل تلك الحقبة من الزمـــن، وتلك الفئات



تخاصم وتنازع وتجادل، وبل وتقاتل دون التخلّي عن الأفكار التي عاشوا عليها والمفاهيم التي رضعوها من زمن الجاهليـــة، وظلّ النبـــي ﷺ مؤمناً بربيـــع الحياة القادم، وأن يوماً سيأتي بالحياة، ثم يحين ذلك اليوم، وتتخلّى تلك الأجيال عن الجاهلية من أصلها، وترضى بحلول الأفكار الجديدة في واقعها بـــل تتبنى الأفكار الجديـــدة، وتؤمن بالعقيـــدة الكبرى، وتصبـــح جنوداً مرابطة فـــي الثغـــور من أجل ذلـــك المعنـــى الكبير. ما أحوجنا للصبر قليلاً، وما نراه بعيداً هو في الحقيقة أقرب ما يكون، وكل شيءٍ أردنا له الحياة فلا بدّ أن يجري في فلك الصبر، والانتظار حتى يحين موعد الحياة.



سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

علّمتني سورة المسد: أنّ قضية المشروع وأهميته في حياتك ودوره في بقاء ذكــرك حيّاً في العالمين، وأنّ الوصية الكبرى أن يكون لكل عاقل (مشـــروع عمر) يبذل فيه وقته، ويصرف له جهده وفكره، ويناضل من أجلــه ما بقي حياً! وتذكّرك الســـورة بـــأنّ من كمال عقلك وفقهك ووعيك أن تكـــون أفقه من أبي لهب وأولى منه بمشـــروع الحياة! لقد عـــاش هذا الضال



بالفكرة ذاتها، وكوّن له مع الأيـــام قضية ومهمّة في الضلال، وبقي ينازع فيها الإســـلام وأهله حتى مات وهو على باطل، أفلا يكون لك مشروع عمر وقضية حياة تســـتميت فيها كما اســـتمات فيها ذلك الضال، فتعيش كبيراً فـــي أمتك، وصانع حـــدث ضخم في مســـاحتك، وصاحب ذكر حســـن بعد رحيلك! لقد عاش أبو لهب يطـــارد النبي ﷺ، وكلّمـــا وقف في مكان يدعو الناس لدين الله تعالى قال هذا الضال: أنا عمه وهو كاذب صابئ! وليـــس هذا الموقف في يوم أو شـــهر أو عام، وإنّما أفنـــى فيه عمـــره حتى ودّع الحياة. أفلا تكـــون أنت أقدر على فكـــرة تصنع بها الحياة لدينـــك، وتدفع بها آماله للحيـــاة من جديد، وتكتب بها حظّك في الدارين! الحديث عن مشروع حديث عن قضية الحيـــاة بكامل تفاصيلها وأحداثها، مشـــروع تتضح في ذهنك أهدافه، وتســـتولي فكرته على عقلك، وتبذل فيه جميـــع طاقاتك، وكل فكرة لا تقتـــات من قلـــب صاحبها لا تســـتطيع أن تعيش مستولية على فكره وعقله ويبذل لها كل شيء. فخذ مشـــروعاً يتوافق مع طاقاتك وقدراتـــك وإمكاناتك،



وابدأ رحلة الأشواق إليه، وقريباً بإذن الله تعالى تجري أرباحك كما تشاء.



وتعلّمت منها: أنّ أبا لهب، وهو على فكرة ضالّة استثمر كلّ طاقاته وإمكاناته وقدراته لصالح مشروعه الباطل ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ فَجَنَّد له ماله ومكانته ووقته وبذل في سبيله كل شيء، وإذا كانت هذه حال صاحب الباطل مع أفكاره ومفاهيمه وتصوراته، فلا أقلّ من أن تضرب بسهمك في الحق الذي معك وتشارك بكل ما تملك، وإذا كان للباطل رجل، فللحق ألف رجل! يجب أن تؤمن أن الرجال، بأفكارها ومفاهيمها وتصوّراتها في الحياة والمجتمعات الناهضة، لا تحسب بكثرة أفرادها وإنّما تحسب بفاعلية أولئك الأفراد! ومن فقهك ووعيك إذا اعتنقت فكرة، وأخذت قضية، وتبنّيت مشروعاً، ووقفت على ثغر لأمتك أن تحوّل له كل شيءٍ، وأن تبقى فيه لا تتنازل عنه ما بقيت الحياة، ومثلك أوعى ألّا يكون الشقيّ الضالّ أولى منك بفكرة الحياة التي تستحق النضال! ما أحوجنا اليوم إلى



تبنّي الأفكار والعيش لها، والبذل في سبيلها والتضحية من أجلها حتى نوردها النهايات. وقد جرت السنن أنّ من أخذ شيئاً بحقه جرت أحداثه الكبرى بين عينيه فضلاً عن مشاهد الختام الكبرى بين يدي الله تعالى! تعلّمك سورة المسد أنّك في أمسّ الحاجة للتأمل في فكرك وقلمك ووقتك وجاهك ووظيفتك، ثم ترى ما الذي يمكن أن تركّز عليه منها، ثم تصنع بها ومن خلالها الحياة. وإذا كان هذا الشقي الضالّ صيّر كل تلك المعاني لصالح فكرته، وهو على الباطل فإنّك أحق ما تكون بهذا المعنى الكبير في الحياة.



وتعلّمت منها: أنّ صاحب المشروع والقضيّة والفكرة المدهشة لا يكتفي بها في واقعه فحسب، وإنّما يجري أحداثها في كل من حوله بدءاً بأهل بيته ومروراً بالعالمين من حوله! لقد عاش أبو لهب فكرته ومشروعه وقضيته، وما زال بها حتى أقنع زوجه بكلّ تفاصيلها، فخرجت من بيتها وحملت فكرته، وحملت حطب المعارضة على ظهرها، وخرجت تلقي به في طريق النبي ﷺ أمام



العالميــن. إنّ أبا لهب لــم يكتف بأن صنــع من زوجه الضالّة جمهوراً مشــجعاً ورافداً كبيراً لفكرته ومشــروعه فحســب، وإنّما جعلها من أنصاره وأعوانه حتى خرجت بذات الفكرة تنوء بأثقالها في العالمين! وما حاجتنا اليوم لشــيءٍ حاجتنا لــزوج يقنع زوجــه بحجابها الشــرعي، ويغريها بفكرته وقضيته ومشروعه الكبير حتى تشعر برواء الإسلام في مشاعرها قبل أن يقنعها بحمل أثقال المشروع في مســتقبل الأيام، وقل مثل ذلك في حقّ الزوجة التي تعيش مشروعها من خلال تربية أبنائها ليكونوا أنصاراً في مشروع الإسلام الكبير وأعواناً له في الطريق! ومثل ذلك القائد في مؤسســته والمدير في دائرته، كلّ هؤلاء يتوقع منهم أكبر مما صنع أبو لهب لفكرته ومشروعه في الحياة. ولعلّ يوماً يدني لنا أحلام الناهضين!



وتعلّمت منها: أنّ أبا لهب كان يملك عادة المبادرة، وهو أوّل مــن وقف أمام النبي ﷺ حين دعا قريش للإســلام فقال لرســول الله ﷺ: «تبّاً لك ألهذا جمعتنا»! وما زال ينوء بأحمالهــا وأثقالها، وكلّما وقف إمــامٌ في محراب



ذكّرنا بأثرها عليه وأحمالها الضخمة في واقعه، فهو يُسبّ في كلّ لحظة، ويجري وعيد الله تعالى عليه بنار جهنّم إلى يوم الدين! وقد قال ﷺ: «**من سنّ في الإسلام سنّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**» ومن فقهك أن تدرك أثر هذا المعنى في حياتك، فلا تكون رأساً في باطل، ولا صاحب مبادرة في منكرٍ، ولا تسنّ سنّة سيئة، وتحيي أثرها في العالمين بعد موتها فتبوء بآثارها في الدارين! وتذكّر في المقابل أثر المبادرات الصالحة في حياتك، وأنّ من سنّ سنّة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، وما حاجة الأمة اليوم لشيءٍ حاجتها لصانع مبادرة في واقعه، وكاتب لقصة حياة تجري أحداثها في العالمين ما بقيت الدنيا. يمكنك أن تكون رأساً في تخفيف تكاليف الزواج، وطرح تكاليفه في عرض الطريق، أو في إحياء قيم ومثل في مجتمعك، ويمكنك أن تفتتح درساً في مكان، أو تقيم حلقة لتحفيظ أبناء الحي أو بناته، أو تشارك في بناء فكرة أو رأي تصنع به الحياة من حولك.



وتعلّمت منها: أنّ وجود العقبات في الطريق سنّة من سنن الله تعالى من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، ولن يأتي فجر خالياً من أحداثها، فيمّم وجهك وقلبك ومشاعرك لربك تعالى، واثبت في طريق أحلامك، وكن جادّاً في تبنّي قضية دينك، ولا توهنك عقبات الطريق وبين عينيك أحلام الدارين. هذا رسولنا ﷺ وفي أول يوم من أيام دعوته والباطل في طريقه، والعقبات تزدحم بين يديه، ولا معين يسلّي قلبه ومشاعره في الأرض فضلاً عن وجود من يجلّي عنه العقبات، وأنت كذلك حين تبدأ في فكرتك ومشروعك وقضيتك، فلا تستغرب ما تلقاه في الطريق إلى تلك الأحلام، وكن على قدر فكرتك وقضيتك ومشروعك تجد أمانيك كما تشاء. في مرّات كثيرة ستكون العقبات التي تواجهك من داخل بيتك ومن أهلك، وفي مرّات أخرى من بيئتك التي تعيش فيها ومجتمعك الذي نشأت فيه ومن قومك، وفي ثالثة من الظروف التي تحيط بك وتلقي بظلالها على واقعك، وفي كلّ هذا تعلّم ألّا تستسلم لعائق مهما كان حجمه، ولا تقف أمام عقبة وكان يمكنك أن تدفعها من طريقك، وإياك أن تستسلم وأنت ترى بوارق الفجر، أو تقف



حائراً في عرض الطريق، ولــم يعد بينك وبين أحلامك سوى مسافة ذلك الطريق، أو تغشى مشاعرك الحسرات وقد آن كلّ شــيء! كــن بطلاً في مســاحتك لا توهنك العقبات، ومتفائلاً لا تفتّ في عضدك المشكلات، وإيّاك أن تتخلّى عن رايتــك، أو تتنازل عن فكرتك حتى يأذن الله تعالى بالغيث، وتعود الأرض ربيعاً مورقاً مع الأيام.



وتعلّمت منهـا: أنّ الإسلام سيبقى منصوراً متفوّقاً في كلّ زمان ومــكان، مهمــا كانت الظــروف التــي يواجهها، والعقبات التــي يلقاها، والأحداث التــي تعرض له في الطريق، هذه ســنّة الله تعالى في الكون ما بقيت الحياة. وفي المقابل سيظل الباطل مهزوماً مدحوراً مهما زانت له الأيام، وستأتي ساعات فشله وإخفاقه وكساده، وإن طالت به ذكريات النصر الموهوم مع الأيــام! وما هذا الموقف الذي تقصّه سورة المسد ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾ إلا جزءاً من هذه الحقيقة الكبرى، كان بالأمس في بداية الإسلام، وليس في الأرض سوى النبي ﷺ، وكان الكفر في المقابل ومعــه أمم الأرض، ومن تلــك اللحظة إلى



يومنا هذا والإسلام يزيد ولا ينقص، ويكثر ولا يقل، ويطول ولا يقصر، ويتسع ولا يضيق ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] وليس غير هذه الحقيقة إلى قيام الساعة. إنّ هذا المعنى كفيل ببثّ روح الأمل والحياة في قلبك، وبعث روحك من جديد، ومدّك بالطاقة التي لا تخيب بها ظنونك مع الأيام، وإذا كانت هذه سنّة الله تعالى في الكون، فلا مكان لهمومك، ولا مساحة ليأسك، ولا عذر لوقوفك في عرض الطريق، تفاءل، وابدأ قصّة مشروعك في الحياة، ورابط على ثغر من ثغور الإسلام، ولا يغرّك جمهور الباطل أو سطوته في واقعك، فغداً يحين موعد النصر الكبير: بإذن الله تعالى، والسؤال الكبير: ما دورك في نهضة دينك؟ وما المشاركة الجادّة التي ستساهم بها في نصره وتكوين مساحته؟ وما الثغر الذي ستقوم عليه حتى يأذن الله تعالى بتلك النهايات التي ننتظرها في مستقبل الأيام؟





علّمتني سورة الإخلاص: عظمة الله تعالى، وخَلَقت تلك السورة في نفسي تقديساً وإجلالاً له تعالى، وعرفت من خلالها أنّه تعالى واحد في ذاته، وواحد في ملكه، فهو المالك لكلّ شيء، القادر على كل شيء، المدبّر لكل شيء، وما عداه عبيد مقهورون لا يفعلون شيئاً إلّا بإذنه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ فهو الذي يحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويُسعد ويشقي، ويُعزّ ويُذل، ويصل ويقطع، وينفع ويضر، ويهدي ويضل، ويخفض ويرفع، ويصنع كل شيء. هذا هو ربّك الذي إذا أسعدك



لا يمكن لبشر أن يشقيك، وإذا رزقك لا يمنع رزقه عنك أحد من العالمين، وإذا هداك ودلّك على الطريق لا يقف في طريق هدايتك أحد من البشر، ربك تعالى إذا شاء أمراً كان، وإذا لم يشــأ لم يكن، ومن كان بهذه العظمة، فهو المستحق لعبادتك وخوفك ورجائك ودعائك، وتوسّلك، فما لك وللمخلوقيــن! يمّم قلبك ومشــاعرك إلى ربك تعالى، وأقبــل صادقاً إليه، وســله ملحّــاً أن يمنّ عليك بالتوفيق، ويهبك مــن فضله، ويبعث في قلبك مشــاعر الفرح، وستجري حينها الحياة في قلبك إلى أقصى مدى.

وتعلّمـت منها: الحريــة، وأنّ مَنْ فَقِــهَ ما فيها من معانٍ فكّت قلبه من أســر المخلوقين، وخلّصته من الأوهام، وأقبلت به إلى الله تعالى دون عناء، وجعلته حرّاً إلّا من الله تعالــى! تذكّرت وأنا أقرأ هذه الســورة حديث ربك تعالى: «**يا عبادي كلّكم ضال إلّا من هديته، فاستهدوني أهدكــم، يا عبــادي كلّكــم جائــع إلّا مــن أطعمته، فاســتطعموني أطعمكم، يا عبادي كلّكم عــارٍ إلّا من كسوته، فاستكسوني أكســكم... يا عبادي لو أنّ أولكم**



وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وجنكم وإنسكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلّ واحدٍ منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلّا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» رواه مسلم، فعد بقلبك إليه، واطرح نفسك بين يديه، وارفع قلبك عن رؤية أحد من خلقه، فالعظيم يستحق منك كلّ شيء. كم هم العبيد لغير الله تعالى وهو الذي خلقهم! كم هم الذين يجهدون ويتعبون ويصنعون كل شيءٍ لمخلوق، وهو الذي منّ عليهم ورزقهم! كم هم الذي يرزحون في قيود الأوهام والشبه والذلّ والعبودية لغير الله تعالى، وقد فكّهم الله تعالى من كلّ شيء، فأبوا إلّا أن يموتوا، وهم في قيود الحريّات. الحريّة ألّا تقف لغير الله تعالى، ولا تخشى سواه، ولا تتوكّل إلّا عليه، ولا تطلب رزقك إلّا منه، ولا تسعى في مرضات أحد من العالمين إلّا بعد رضاه. الحرية أن تعلم أن كلّ العالم من حولك عبيد لله تعالى،



لا يغنون في شــربة ماء ولا في كســرة خبــز فضلاً أن ينفعوك أو يضرّوك في شيء.

وتعلّمـت منهـا: ترك الرياء ومحاربــة صوره، والخلاص منه، وأنّ هذه هي الحياة، ومن عرف الله تعالى عرف كل شــيء. ماذا لو تهيّأت هذه القناعة لكلّ إنسان، فعلم أنّ الواحد جلّ فــي علاه هو الذي يخلــق ويرزق، ويعطي ويمنع، وهو الذي يصنع كلّ شيء، وكم كان عظيماً ذلك الصحابي الذي أمّ قومه، فكان يقرأ في كل ركعة بسورة ويختــم بالإخــلاص، فلمّــا ســأله النبــي ﷺ، قــال: يا رسول الله! إنّها صفة الرحمٰن، وإني أحبّ أن أقرأ بها، وفرق بين قارئ وقارئ! ومن تأمّل معاني هذه الســورة بجدٍّ أدرك وبجلاء أنّ المخلوقين مثله يرجون ما عند الله تعالــى، وينتظرون رحمته ويخشــون عذابه، وليس لهم سواه تعالى. كم مرّة عاش الإنسان يرقبهم في كلّ عمل، ويفرح بهــم في كلّ جهد، ويشــتاق إلــى رؤيتهم لكلّ مشــروع حتى بان له كلّ شــيءٍ في النهايات، فتغيّرت جملة من قناعاته الكبرى، وها هو يصنع كلّ شيءٍ لربه،



ويعمل له تعالــى، ولا يعنيه نظرهم في شــيء. وها هو يشــارك الآخرين في أفراحهم وعزائهــم، وكلّ ذلك لله تعالى، وكلّما كرّ عليه الرياء تذكر هذا المعنى الكبير ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ وآثار هــذا المعنى في قلبه فــوق ما يتصــوره، وقد عــاش زمناً في الشــتات والفوضى والضيــاع، فعاد حــرّاً من قيوده كبيــراً بهذا التوحيد الذي يملأ قلبه ومشاعره، وأحسب أنه قد وجد كلّ شيء.







علّمتني سورة الفلق: أنّ كلّ علم لا يترتب عليه عمل فلا قيمة له في واقعك، ووقتك أجلّ من أن يذهب في قراءة أسطره أو تَعَلُّم حرفه في شيء، وما تصنع بركام حرف لا قيمة له في شيء، وما أكثر المعرفة التي تدار في زماننا في وسائل التواصل الاجتماعي، ويتناقلها الناس في كلّ مرة، ثم لا تجد لها واقعاً في حياة كثيرين! وما حاجتنا اليوم لشيء في كلّ علم نتلقاه حاجتنا لتطبيقه، وتحويل تلك المعرفة إلى شأن من شؤون العمل، وفي قول الله تعالى في هذه السورة ﴿قُلْ﴾ دعوة



لتحويل المعرفة إلى واقع تطبيقي، وتشكيل حياتنا بناءً على ما يجري في فصول الوحي. تعلّم في كل مرة أنّ ثمن العلم أكبر من مجــرد قراءته، وأعظم من أن يأخذ من وقتــك، ثــم لا يتحوّل مــع الزمن إلــى واقع في حياتك، ومن صنع هذا وجد كلّ شــيء. احتجم الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وأعطى الحجّام أجراً، فقيل له، فقال: احتجم النبــي ﷺ، وأعطــى الحجام أجــراً، وقــال ابن عمر: قال ﷺ: «**ما حقّ امرئٍ مســلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيــت ليلتين إلّا ووصيته مكتوبــة عنده**» فقال ابن عمر راوي الحديــث: فما مرّت عليّ ليلة مذ ســمعت رســول الله ﷺ قال ذلك إلّا وعندي وصيتي. تعلّم في كلّ مرة ألّا تقرأ إلّا ما ينفعك فــي حياتك، وإذا قرأت نافعاً، فاجعله واقعاً في يومك أو ليلتك، ودرّب نفسك في كلّ مرة على أنّ ثمن العلم أعظم من أن يجري في حياتك دون أثر.

وتعلّمـت منهـا: أنّ الوقاية منهج شــرعي، وأنّ من كمال عقلك أن تحول بينك وبين الشرور العارضة في الطريق



بالأسباب الواقية منها. وكم من تفريط في هذا المعنى أوجب نهاية سوء ومواقف حرمان في حياةِ كثيرين. توقّف بعض طلاب العلم عن القراءة مع شغفه بها سنة كاملة لا يستطيع أن يمدّ يده إلى كتاب، وآخر توقف مشروعه من أصله، وثالث ساءت ظروفه، ورابع وخامس وعاشر بسبب التفريط في هذا المعنى الكبير، وقد قال النبي ﷺ: «**العين حق**» وأثبت الله تعالى أنّ في العالم من حولك شروراً تحتاج إلى توقٍّ واحتراس ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ وتذكّرك هذه السورة أن ثمّة أعداءً من حولك، وشروراً تحفّ بك، فالليل ظرف لكثير من الشرور، وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «**لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فَحْمَة العشاء، فإنّ الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء**»، وقل مثل ذلك في السّحر والحسد، فهي شرور قاتلة إن لم يستعد لها الإنسان غاية وسعه، ولا سبيل إلى دفعها والخلاص من شرورها والنجاة من آثارها إلّا باللّجوء إلى ربك ومولاك، والفرار إليه تعالى والاستعاذة



به، فهي السبيل لنجاتك من كل شيء ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ وكم من سالمٍ من عطب! وقائم من كدر! وخارج من ضيق بعد أن كان على وشك الضياع والهلاك! ومن عرف الله تعالى، وقام بحقه وبذل الأسباب، وقاه الله تعالى من عوارض الطريق.



وتعلّمت منها: أنّ لكلّ مشكلة حل، وأنّ كل شر في الكون مقابل بأسباب للفكاك منه! وما أنزل الله تعالى داءً إلّا أنزل له دواءً، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ولا أعظم لك من صلتك بالله تعالى، فهي أول الطريق وأصله وقاعدته، وقد أبان الله تعالى لك المشكلات والعوائق والشرور ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ ثم دلّك على الطريق الذي يخلّصك منها ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ فللفلق ربّ يعينك على الخلاص مما يواجهك منه! فأقبل على ربّك، واصدق معه في الطريق، واشتوثق منه قدر وسعك، وحافظ على طاعته وأجلّ أمره، وعظّم شعائره، وتوقَّ



أسباب سخطه وعقابه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] ومن اتقَ الله تعالى، وحافظ على أذكار الصباح والمساء، وقرأ المعوذات بعد كلّ صلاة مرة، وبعد الفجر والمغرب ثلاثاً، وقرأ آية الكرسـي، وعاش متوكّلاً على ربّه تعالى، مطمئناً لقضائه وقدره، سـلم من الشرور بإذن الله تعالى، وعاش معافىً من أحداثها والله المستعان.





سورة النّاس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦

علّمتني سورة الناس: أنّ مشكلتنا الكبرى مع حقائق الوحي أنّها لا تأخذ حقها الكبير من واقعنا، وكم من حقيقة أكّد عليها الوحي، ونوّع في التحذير منها، ومع ذلك ما زالت بمنأى عن كثيرين، من هذه الحقائق التي تولّى الوحي الإفصاح عنها وكرّرها أنّ لنا عدوّاً قرّر وأقسم بربّه أنه سيتولى إضلالانا وضياعنا ما أمكنه إلى ذلك من سبيل ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [صٓ: ٨٢]،



﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] وحقيقة مثل هذه يجب أن تأخذ حقّها من النقاش والوعي حتى تصبح أوضح ما تكون، فكيف إذا عرفت أنّ عدوك الذي حذّرك منه الوحي هو الذي تولّى إخراج أبيك آدم، وكان سبباً في ضياع نعيمه كما قال الله تعالى: ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾ [طه: ١٢٠] وما زال به حتى أخرجه من الجنّة!وفي سنّة نبينا ﷺ: «**ما من مولود يولد إلّا نخسه الشيطان**»، وفي رواية: «**يمسّه حين يولد فيستهلُّ صارخاً من مسّه الشيطان إيّاه**» كأنّما يقول له: هذه بداية المعركة معك.. **تُعلّمك** سورة الناس أنّ من فقهك وكمال وعيك أن تدرك عدوك وتعرف حجمه، وتتحصّن منه، وتبلغ وسعك في الفرار من طرقه، حتى تلقى الله تعالى وأنت سالم من الخذلان.

وتعلّمت منها: أنّ «**الوسوسة**» أخطر ما يواجهك به عدوك، وهي أول وسائله وأهمها، وقاعدة البداية معك



للضياع، والوسوسة هي الحديث الداخلي الذي يجري بينك وبين نفسك، يزيّن لك فيه المعصية ويجمّلها لك، ويجري أحداثها في مشاعرك، ويعرضها لك في صورة فاتنة مغرية حتى تتمكّن من قلبك، ثم يلقي بك مأسوراً في شباكها، بعد أن كنت حرّاً طليقاً من آثارها. الوسوسة التي يجريها الشيطان معك كالحبل الذي تلقيه للطائر لتمسكه من خلاله، وكالمأكولات الشهية التي تضعها للفأر من أجل القبض عليه وقتله لا فرق، وكلّ الذين في السجون العامة دخلوا إليها من خلال هذه الخطة، وحرموا من كلّ شيءٍ في النهاية. فكن فطناً، وإيّاك وخطواته، ولا تغترّ بالعرض الممتع في أول الطريق، فهو السبيل إلى أسوأ النهايات، وكم من مكبّل بالسلاسل بعد حرية! وكم من ضائعٍ بعد عزٍّ وشرف! وما أكثر الهلكى من أثر هذا المعنى لو كانوا يعلمون! ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾.

وتعلّمت منها: أنّ شرارة الخلاف الكبير في مرّات مزاح، وبوابة الزنى خيانة عين، وأوّل خطوات الخذلان رؤية



مشهد عابر في وسيلة من وسائل التقنية، وتجربة طريق مجهول، وعلى مثل هذه البدايات تُسفك القيم، وتذبل معالم التوفيق، وتتصحّر قلوب الأتقياء، وتموت مباهج الاستقامة، وينتهي في النهاية كلّ شيء، وقد قال رسولنا ﷺ: «**فإنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» وقال ﷺ: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان حتى لا يسمع صوت التأذين، فإذا قضي النداء أقبل، حتى إذا ثوّب للصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول اذكر كذا، اذكر كذا لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلّى!**» قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فإنّ القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية، فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله، فيصوّره لنفسه ويمنّيه ويشهّيه، فيصير شهوة ويزينها له، ويحسّنها ويخيّلها في خياله حتى تميل نفسه إليه فيصير إرادة. اهـ فكن فطناً بخطط عدوك وتجهّز لمواجهته، وإيّاك أن يلقي بك في خنادق الظلام.





الفهرس





